أزمة العلاقة بين القادمين الجدد من الفرنج والفرنج المستوطنين فى بلاد الشام

(1099-1291م/492-690هـ)

د/ ممدوح محمد مغازى هلول

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة بنها

مقدمـة :

الحروب الصليبية ظاهرة من الظواهر المهمة التى شغلت تاريخ العصور الوسطى عامة، وتاريخ الشرق الإسلامى وغرب أوربا بصفة خاصة، ورغم كثرة الدراسات التى تناولت أحداث هذه الحروب فما يزال الكثير من جوانبها يحتاج إلى الدراسة والبحث0

ونحن بصدد ظاهرة أفرزتها تلك الحروب الصليبية بأحداثها وتفصيلاتها، وهى ظاهرة تتعلق بطبيعة العلاقة بين طرفى المجتمع الصليبى الذى تكون فى بلاد الشام، ذلك المجتمع الذى شمل الفرنج الذين استوطنوا وعرفوا حياة الشرق بعد مكوثهم به فترات طويلة والذين تأثروا بطابع الحياة فيه من خلال علاقتهم بجيرانهم المسلمين أو حتى بمسيحيى الشرق، والطرف الآخر الذى مثله فريق القادمين الجدد أو ما يمكن أن نسميهم إفرنج الحملات، الذين جاءوا بهدف تحرير الأراضى المقدسة من المسلمين، وعرفوا بالتهور والتعصب والهوج، وهى أمور أدت إلى كثير من المشكلات للمستوطنين الأوائل من الفرنج0

تبدو مهمة هذا البحث فى محاولة استعراض الأزمات والمشكلات التى نجمت عن العلاقة بين هذين الفريقين الصليبيين لبيان كيف تحول شعور الفرح لدى المستوطنين المنتظرين مساعدة من الغرب إلى ضيق ورغبة فى التخلص من القادمين الجدد، وكيف أدى ذلك إلى حدوث توتر فى العلاقة بين الطرفين 0

كان من الطبيعى أن نبدأ هذا البحث بالحديث عن تكوين المجتمع الفرنجى فى الشرق، ومتى وكيف ظهرت أزمة العلاقة بين طرفى هذا المجتمع؛ ثم نتحدث عن نوعيات الوافدين حديثا إلى الشرق الفرنجى والظروف التى دفعتهم إلى المجيئ، ويعقب ذلك الحديث إلى المساعدات التى قدمها هؤلاء الوافدين الجدد إلى المستوطنين، والنتائج التى ترتبت عليها، فى محاولة لإظهار الجانب السلبى لهؤلاء القادمين من خلال الأزمات التى أثاروها للفرنج فى الشرق 0 وكان طبيعياً من خلال الأزمات التى آثارها الوافدون الجدد والكوارث التى ترتبت عليها، أن نختتم البحث بتحديد وتحليل الأسباب والدوافع التى أدت إلى حدوث الصراع بين طرفى المجتمع

الصليبى لتبيان كيف تبلورت أزمة العلاقة وانعدام الثقة والشك بين الطرفين؛ وهى الأسباب التى أدت إلى استمرار حالة التوتر والاضطراب طوال فترات التواجد الصليبى فى بلاد المسلمين0

وهناك ملاحظة جديرة بالإشارة، وهى اختلاف المسميات التى أطلقت على فرنج الشرق الذين استوطنوا بلاد الشام منذ بدء الغزو الصليبى، فبعض المؤرخين أطلقوا عليهم اسم "الفرنج البلديين"؛ وهناك من أطلق عليهم لفظ "البولانى"؛ وفريق آخر أطلق عليهم إفرنج الشرق أو بارونات الشرق اللاتينى؛ إضافة إلى كل ما تقدم هناك من سماهم المستوطنين أو حتى الفرنج المحليين 0 وقد وقع اختيارنا على مصطلح المستوطنين باعتباره أعم وأشمل من كل تلك المصطلحات السابق ذكرها 0

بعد السيطرة على بيت المقدس، وفى فترة الشهرين الواقعين بين احتلال المدينة المقدسة ومعركة عسقلان، عاد الجانب الأكبر من الجيش العظيم إلى بلادهم، مما ترتب عليه قلة السكان بشكل كبير، إذ صار عددهم لا يتعد بضعة مئات تعد على أصابع اليد الواحدة [1] 0 كما لم يبق من القادة بعد رحيل الحملة الأولى سوى جودفرى Godfrey وتانكرد Tancred ابن أخت بوهمند Bohemond .

كان الذين قبلوا البقاء والدفاع عن المدينة المقدسة أُناس ينتمون إلى أصول متباينة، فلمنكيون، بيكارديون، بروفنساليون ولانجدوكيون، انضم إليهم بعد وقت ألمان وانجليز وإيطاليون ومجريون [2] 0 والملاحظ أن معظم أفراد هذه الجماعات كانوا من المغامرين والطامعين وبعض المتدينين [3] 0

لكن الحقيقة أن أعداد الذين استقروا فى بيت المقدس كانت قليلة بشكل واضح ولم تشغل حتى شارعاً واحداً من شوارعها، لدرجة أن بلدوين الأول Baldwin I (1100-1118/ 494-512هـ) بعد ذلك أتى بالمسيحيين الشرقيين من منطقة الكرك لكى يستقروا بالمدينة المقدسة، لسد النقص الشديد فى عدد السكان، وعلى الرغم من تلك الخطوة بقيت المدينة تكاد تكون خالية من السكان إذ كانت مكاناً للزيارة والتقديس فقط،

---

(1) أشار المؤرخ البرت ديكس إلى أن ما بقى مع جودفرى عام 1099م كانوا حوالى ثلاثة آلاف، وفى الربيع التالى قدر نفس المؤرخ عددهم بحوالى مائتى فارس، وألفان من المشاة 0 انظر :

- Albert d'Aix, Historia Heirosolymitana, ed. R.H.C-H.Occ., Tome IV, Paris, 1879, p.503. CF. also, Prawer, J., The settlement of the latin in Jerusalem, in spec. Vol XXIII, 1952, p.493.

(2) أشار يوحنا الفورزبورجى إلى أنه لم يخصص أى مكان ولو حتى صغير للألمان، الذين لم يهتموا بالمسألة ولم تكن لديهم الرغبة فى البقاء هناك 0 انظر : يوحنا فورزبورج : وصف الأراضى المقدسة فى فلسطين، ترجمة سعيد البشاوى، عمان، الأردن 1997، ص 75 0 بينما أشار المؤرخ "ماير" إلى أن الصليبيين الذين استقروا فى الأراضى المقدسة من أبناء اللوريين وشمال فرنسا قد استقروا فى مملكة بيت المقدس، أما البروفنساليون فقد استقروا فى إمارة طرابلس، بينما استقر النورمان فى أنطاكية. انظر : ماير :تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، ليبيا 1990م، ص 225 0

(3) قاسم عبده قاسم : بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، عالم الفكر، مج22، العدد الثانى، أكتوبر – ديسمبر 1993، ص 377 0

بينما كانت المدن الساحلية مثل يافا، عكا، صور، وبيروت قد تكيفت بسرعة مع الظروف الجديدة للحياة، حيث جذب القادمون الجدد إليها إمكانيات المكسب وأسباب الرزق والعيش[4] 0

والملاحظ أن معظم هؤلاء القادمين من الحجاج الفرنج الأوائل كانوا قادرين على حمل السلاح، ويسعدون بفعل ذلك- كما يقول المؤرخ المحدث يو 0تى هولمست Holmest, U.T. إذ يذكر أنهم أقدموا على تلك المشاركة عن اقتناع بأن عملهم هذا يعد من أعمال البطولة، ووسيلة للتكفير عن ذنوبهم يحقق رغبة أصيلة لديهم فى سحق المسلمين[5] 0

بينما يشير جاك دو فيترى Jacques de Vitry إلى أن هؤلاء الأوائل كانوا ما يزالون فقراء، ومنهكين من المتاعب لذا لم يجد الشيطان سبيلا إليهم[6] 0

أياً ما كان طابع هؤلاء الحجاج والقادمين الجدد، فقد كان من الأمور المهمة للمملكة الصليبية فى بيت المقدس وتوابعها، بل من المسائل الحيوية استهواء رجال من أوربا قادرين على القتال، ويرغبون فى الاستيطان 0 وقد بلغ من تساهل سكان

---

(1) Prawer, Op.Cit, Loc. Cit.

والحقيقة أنه نتيجة لعودة الكثيرين إلى أوربا فقد ظلت مدينة القدس تعانى نقصاً حاداً فى السكان، حتى أن عددهم لم يكن كافياً للدفاع عنها ضد المسلمين إذا ما فكروا فى الهجوم عليها. انظر :

Pernoud, R.., The Crusades, Trans by, Ernnid Mcleod, London, 1962, P. 50.

(2) Holmest, U.T.: Life Amonge the Europeans in Palestin and Syria in Twelfth and Thirteenth Centuries, in Setton, U.S.A., 1977,Vol.IV,p.4.

(3) يعقوب الفيترى : تاريخ بيت المقدس، ترجمة سعيد البشاوى، الأردن، 1998، ص 99 بينما يشير وليام الصورى، إشارة غريبة تتنافى مع الحماس الصليبى فى بداياته، حيث يشير إلى أن الحجاج الواصلين حديثا عندما رأوا حالة الضعف، ووضع المملكة الميئوس منه عادوا إلى بلادهم حالما وفوا بنذورهم خشية التورط فى الكوارث ذاتها، انظر : وليام الصورى : تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار (1130-1185) نقله إلى العربية، سهيل زكار، دمشق، ط1، 1990، ج1، ص 504 0

المملكة أن قدموا تسهيلات إلى المهاجرين من الطبقات الدنيا وصلت إلى حد إعفائهم من بعض الأمور التى مكنتهم من البقاء والاستقرار [7] 0

كانت عملية الإحتلال الصليبى تتم من خلال المستوطنين المهاجرين القادمين الذين يحلون محل السكان المحليين من المسلمين بهدف خلق مجتمع قابل للنمو، إذ استطاع القادمون الجدد من الأوربيين القيام بكل المهام الاقتصادية والوظائف الاجتماعية ...إلخ [8] 0ولقد لعبت مسألة الاستغاثة والرغبة فى الحصول على الدعم والمساندة عند الصليبيين الأوائل دورها فى جلب الكثير من العناصر، والدليل على ذلك أن الدويلات التى أقامها الصليبيون الأوائل ما كان لها أن تبقى تلك المدة التى قاربت على القرنين، إلا بفضل الموجات المتعاقبة التى جاءت لنجدتهم على شكل حملات صليبية جديدة[9] 0

---

(1) تمثلت هذه التسهيلات والإعفاءات فى القانون الذى صدر فى عهد الملك بلدوين الثالث وهو قانون Assise du coupapparent والذى أعفى بمقتضاه الحجاج الفقراء من تقديم شاهد إلى المحكمة، حيث يصعب على هؤلاء المهاجرين الفقراء الجدد تأمين الشهود المطلوبين لبيان أسبقيتهم فى المجيئ وأحقيتهم فى البقاء والاستقرار، انظر : ماير، المرجع السابق، ص 226 0

(2) براور : الاستيطان الصليبى فى فلسطين، مملكة بيت المقدس، ترجمة عبد الحافظ البنا، القاهرة، ط1، 2001، ص 601 0

(3) يقول المؤرخ المجهول لحملة ريتشارد "كان الترحيب بالقادمين الجدد نجدة لرجالنا، جاءتهم فى لحظة ضيق مطبق... إننا لنفرح بما يسعفنا إذا صلينا، لكن الأمر الذى هو أكثر فرحاً هو ما يأتينا على غير انتظار،وإن كنا أكثر شكراً لمن يأتى لمساعدتنا فى ساعات الضيق الحرجة والبلوى، لا سيما حين تبلغ البلوى أشدها، وتتأزم الظروف ، وتستحكم حلقات الشدة التى لا يظن معها أنه سيكون هناك فرج أبدا، انظر : مؤرخ مجهول، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ترجمة وتعليق حسن حبشى، الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة، 2000م، ج1، ص 91 0والجدير بالذكر أن المؤرخ ميشال بالار أشار إلى أنه خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر كانت المغادرات إلى الأرض المقدسة تحدث فى فترتين فى العام، فى الربيع حيث تمتد من 15 مارس إلى أول مايو،والثانية تحدث فيما بين 15 أغسطس و 30 سبتمبر، وقد تمتد بشكل استثنائى إلى 15 أكتوبر. للتفاصيل انظر: م0 بالار:الحملات لصليبية والشرق اللاتينى من القرن الحادى عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة بشير السباعى، القاهرة، ط1، 2003م، ص 305 0 وانظر أيضا : سميل : فن الحرب عند الصليبيين فى القرن الثانى عشر (1097–1193) ترجمة محمد وليد الجلاد، دمشق، 1985، ص 34 .

كانت هناك دوافع عدة يمكن من خلالها تفسير رغبة الصليبيين المقيمين فى الاستعانة بالمهاجرين القادمين من أوربا، قابلتها على نفس الدرجة دوافع لدى القادمين الجدد فى القدوم إلى الشرق اللاتينى يمكن حصرها فيما يلى :

- الإحساس بالقلة العددية وسط محيط عربى مسلم مكون من عدة ملايين، بينما ما بقى من المحاربين لا يتعدى بضعة آلاف وهذا يفسر السلسلة الطويلة من طلبات الاستغاثة التى كانت توجه إلى الغرب الأوربى للحصول على المساعدات البشرية والمادية(10)0
- الإحساس بالخوف والهلع الشديد وهو أمر يدفع إلى التعاون والمساندة والتكاتف بدلاً من الصراع والتناحر، وهذا الشعور عبر عنه فوشيه دوشارتر Foucher De Charters حين ذكر : "عندما كنا نسمع عن وصول أى قادم جديد يغمرنا الفرح وخاصة إذا بقى؛ لأن المدينة لم يكن بها ما يكفى للدفاع عنها من الناس" (11)0

---

(1) يقول فوشيه دو شارتر "كنا نخشى لئلا يعرف أعداؤنا قلة عددنا، فيطبقون علينا فى وقت ما من جميع الجهات فى هجوم مفاجئ بحيث لا يمكن لأحد أن يساعدنا سوى الرب" انظر : فوشيه دوشارتر : الوجود الصليبى فى الشرق العربى، الاستيطان الصليبى فى فلسطين، تاريخ الحملة إلى القدس (1095–1127)، ترجمة قاسم عبده قاسم، الكويت، ط1، 1993م،ص 187، وانظر أيضا:سميل : المرجع السابق، ص 168.

(2) حالة الخوف يجسدها بشكل واضح ما قام به بوهمند النورماندى فى يناير 499/1105هـ حين حينا ارتحل إلى أبوليا، ثم ذهب إلى فرنسا لتجنيد الرجال سنة 500/1106هـ وعاد بأكبر عدد ممكن من الرجال إذ بلغ عددهم خمسة آلاف فارس وستين ألفا من المشاة كما أشار فوشيه، انظر: فوشيه دوشارتر : المصدر السابق، ص 186، 234؛ كما يجسدها أيضا تذلل ملك بيت المقدس بلدوين الأول إلى سيجورد "الشاب النرويجى" الذى قدم لزيارة الأرض المقدسة كى يبقى لمساعدته فى الدفاع عن الأرض ودحر المسلمين، انظر : فوشيه : المصدر السابق،ص241–242

- الحاجة إلى الوحدة السياسية؛ فلم تكن هناك أى وحدة أو أى ائتلاف مبدئى، والشعور بالتضامن لم يكن فاعلاً لكى تهب دول لنجدة دولة فى حالة الخطر إلا فى حالات استثنائية[12]0
- الحاجة إلى الأمن السياسى والاقتصادى0 فالأمن كان شيئاً أشبه بالسراب، خاصة مع هجمات المقاومة الإسلامية التى أخذت شكل حرب العصابات فى العصر الحديث، وخاصة على الحجاج الذين قدموا للدولة فى رعاية الكيان الصليبى[13]0
- الإحساس بالمسئولية الجماعية وخطورة حدوث انشقاقات أو تفتيت قياساً إلى حالة التشرذم التى كان عليها المسلمين، وهو أمر أدى إلى الحاجة إلى ظهور جنود الميدان وخاصة فى حالة إذا ما تمكن المسلمون فى أى معركة من هزيمة الجيش الصليبى، ساعتها ستكون كل الأماكن الاستراتيجية القوية فى بؤرة الخطر، وربما تركت بدون مدافعين عنها بشكل واضح، وهذا ما حدث عندما غزا صلاح الدين أراضى المملكة فى عام 579/1183هـ، لولا أن تدارك الصليبيون الأمر فقللوا من مخاطر المعركة وتبعاتها[14]0
- انخفاض الروح المعنوية المترتب على قلة العدد واليأس من مجيئ مساعدات، إذ أن صبر الحامية المحاصرة فى قلعة ما كان ينفذ ومعنوياتها تضعف إذا علمت أنه ليس من المتوقع قدوم جيش لنجدتها، بينما تزداد فاعلية الدفاع كثيراً إذا ما وجد جيش فى الأرجاء قادم لنجدة الحامية أو لإنهاك القائمين على الحصار[15]0
- كان مستوى الإيمان بالفكرة الصليبية فى تلك الفترة المبكرة فى أعلى درجاته، فتميز معظم من جاء إلى الشرق بعد تكوين المملكة والإمارات التابعة لها بالتقوى

---

(1) كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة احمد الشيخ، القاهرة، ط1، 1995 ، ص 103 0

(2) محمد مؤنس عوض : العلاقات بين الشرق والغرب، القاهرة، ط1، 1999، ص 107 0

(3) Smail, R.C. : The Predicaments of Guy Luzignan, in Outremer, 1982, p.167.

(4) سمبل : المرجع السابق، ص 57 0

والورع، وأنه ما جاء إلا للحج والإيفاء بالنذر – كما زعموا – وبالتالى فلا ضير فى أن يشارك فى القتال لمصلحة الصليبيين [16] 0

- أخيراً، ومع تطور الأوضاع، ظهرت مسألة الرغبة فى المغامرة عند بعض القادمين، وكذلك الرغبة فى تحقيق بعض المصالح الاقتصادية، خاصة اعتباراً من منتصف القرن الثانى عشر الميلادى/السادس الهجرى حيث ظهر ممثلوا الشركات التجارية الكبرى– والبحارة والحرفيون والباحثون عن المغامرة، وخاصة من العائلات البندقية الأرستقراطية مثل عائلات دولشى Dolchy ومورسينى Morciny وفالبير Falier وغيرهم[17] 0

هكذا تلاقت دوافع الفريقين أو الحزبين وأدت إلى حدوث هجرة أوربية على شكل موجات متقاطرة من الأوربيين خاصة بعد عام 1110م/504هـ وهو العام الذى شهد طرد السكان المحليين 0 وأصبح لدى المهاجرين الجدد من القادمين الاستعداد النفسى للاستقرار الدائم فى هذه المدن والمناطق الجديدة التى احتلها الصليبيون فى الشرق الإسلامى؛ بل عمل بعضهم كفلاحين 0 ولقد شاركت جموع المهاجرين

---

(1) لاحظ كيف تلقى الشاب النرويجى طلب الملك بلدوين بترحاب كبير حيث أجابه بأنه لم يحضر إلى بيت المقدس سوى لهذا الغرض، كما قال له أن جماعته يسرها أن تذهب مع الملك أينما رغب بشرط أن يمدهم بما يحتاجون من مؤن، وسيجورد هذا كان شاباً فى التاسعة عشر من عمره وكان ملكاً مشاركاً فى حكم النرويج مع أخيه باريفوت العظيم Magnus Barefoot سنة 1103/497هـ للتفاصيل انظر : فوشيه : المصدر السابق، ص 241، وحـ1 0

(2) بالار : المرجع السابق، ص 304 0 وقد نجح بعض هؤلاء المغامرين من القادمين الجدد فى سد النقص الناجم عن الوفيات المبكرة نتيجة الحرب، حيث كانت هذه الوفيات بمثابة الحافز الذى حث الشباب الطموح على المغامرة وكانت الفجوات التى تحدث داخل الأسر الاقطاعية عاملاً مساعداً على تجددها عن طريق تزويج الأرامل، أو بطرق أخرى غيرها؛ لكن ذلك كان يسبب الكثير من المشاكل التى أدت فيما بعد لإغلاق هذه العائلات على نفسها.. كما سنرى فيما بعد .. انظر : كاهن: المرجع السابق، ص 136 0

المتقاطرين فى التمتع بثمار الغزو الصليبى من بدايته، واعتمدت مشاركة هؤلاء المهاجرين على أساس إنتمائهم للتراث المسيحى والمذهب الكاثوليكى [18]0

بناءً على ذلك تكونت النواة الأولى لمجتمع صليبى مستوطن وهذا الكيان الجديد تميز بمجموعة من الملامح حددت طبيعته، وكان لبعضها الدور فى حدوث الانشقاق او النزاع بين فريق المستوطنين الأوائل ومن جاء بعدهم من القادمين الجدد 0 فماذا عن ملامح هذا الكيان ومتى حدث الانقسام أو التحزب على وجه الدقة؟

المعلومات المتوافرة عن الحياة اليومية فى المملكة الصليبية فى بلاد الشام وتوابعها لا تكفى لإعطاء صورة واضحة عن طبيعة الحياة فى ذلك المجتمع الصليبى0 لكننا نستطيع القول بأن الاستيطان اللاتينى كان استيطاناً مقلقلاً غير مستقر، وكان بمقدور أى قوة عسكرية متحدة أن تضع نهاية لهذا الكيان [19]0 ولذا يعود الفضل الأكبر للمسلمين فى طول بقاء هذا الكيان بسبب حالة التشرذم التى كانوا عليها، وغياب مفهوم الوطن المرتبط بالأرض عند أبناء القبائل العربية المتناحرة فى الشام[20] وهى أمور أدت إلى عدم وجود خصم حقيقى للصليبيين خلال النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى/ النصف الأول من القرن السادس الهجرى إلا على حدوده الشرقية التى كانت المكان الوحيد للمتاعب المتجددة على الدوام، وقد ظهر ذلك جليا فى إمارة الرها (1098–1124م/491–539هـ) التى لم يتطور فيها التوطين الفرنجى قط، ولم تتمكن أبداً من أن تلقى دعم الحجاج، ولا إمدادات التجار الإيطاليين؛ لذا كانت عرضة – بسبب موقعها الجغرافى – لرد فعل المسلمين

---

(1) براور : المرجع السابق، ص 605 0

(2) أنتونى بردج : تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية أحمد غسان سبانو، ونبيل الجيرودى، راجعه سهيل زكار، دمشق، 1985، ص 118، براور : المرجع السابق،ص 30، وأيضا محمد مؤنس عوض : المرجع السابق، ص 132 0

(3) قاسم عبده قاسم : المرجع السابق، ص 365 0

السريع[21]، كذلك انشغلت انطاكية بأمر الدفاع عن نفسها ولم تستطع توفير الرجال أو السلاح للمملكة الصليبية فى بيت المقدس[22]0

رغم عدم استقرار هذا الكيان الصليبى، إلا أن ذلك لا ينفى الدور الذى قام به الملك بلدوين الأول فى صياغة هذا الكيان وتشكيله من خلال قدراته وكفاءته العسكرية وحماسته الدينية المصطبغة بالتعصب ضد المسلمين والتى كانت سمة عامة للجيل الصليبى الأول؛ ولهذا السبب، شكلت وفاة بلدوين الأول حداً فاصلاً بين مرحلتين : الأولى هى مرحلة القوة والفعالية للدولة الصليبية الناشئة، والثانية تمثل مرحلة القلاقل والاضطرابات وعدم الاستقرار التى تعددت أسبابه والتى سنذكرها فى حينها[23]0

لقد كانت الهجرة إلى الأراضى المقدسة عاملاً مهماً فى استقرار الكيان الاستيطانى الصليبى طوال الثلاثين سنة الأولى على الأقل، ولولا هذه الهجرة ما كان للدويلات الصليبية أن تستمر حيث كانت الهجرة تعوض الخسارة التى تحدث للفرسان أثناء القتال[24]، على الرغم من أن كثيراً من الحجاج كانوا كالطيور العابرة كما يقول باركر[25]0 واللافت للنظر أن إيقاع الهجرة تباطأ بشكل كبير بعد انتهاء أحداث الحملة الصليبية الثانية (1147-1148م/542-543هـ) وبعدها عانت مملكة بيت

---

(1) كاهن : المرجع السابق، ص 118 0

(2) براور : المرجع السابق، نفس الصفحة0

(3) Fink, H.S., Foundation in latin states, in Setton, History of the Crusade, Vol.II, Pennsylvania,1958,p.409 .

محمد مؤنس عوض : المرجع السابق، ص 112 0

(4) اشار فوشيه دوشارتر فى معرض حديثه عن أحداث عام 1113م/507هـ، إلى أن الحجاج من بلاد ما وراء البحار كانوا يصلون كما هى عادتهم، وكان جيشنا يكبر وينمو يوما بعد يوم، انظر : فوشيه : المصدر السابق،ص 252، وانظر أيضا : السيد الباز العرينى : نمو طبقة النبلاء الإقطاعيين بمملكة بيت المقدس فى القرن الثانى عشر الميلادى، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، م20، ج2، ديسمبر 1958م، ص 28 0

(5) ارنست باركر : الحروب الصليبية، نقله إلى العربية، السيد الباز العرينى، بيروت، 1967، ص 41

المقدس الصليبية من النقص السكانى الحاد، وهو أمر كان متوقعاً وشيئا مسلماً به، لأن المعركة الخاسرة كانت تسفر عن سقوط عدد كبير من القتلى وسط الجيش الصليبى، وتلحق التدمير والخراب بالمملكة اللاتينية [26] 0

اختلفت الآراء حول التوقيت الذى أصبح فيه الصليبى المستوطن يحس أنه فى وطنه، إذ أشار بعض المؤرخين إلى أن عام 1120م/514هـ هو العام الذى أحس من بعده المستوطنين الفرنجة فى الدويلات الصليبية بشعور الانتماء للمكان الذى يعيشون فيه، لأن هذه الفترة تقريباً تزامنت مع احتلال الصليبيين للمنطقة كلها [27] 0

بينما ذكر مؤرخون آخرون إلى أن وفاة بلدوين الثانى Baldwin II عام 1131م/526هـ تعتبر حداً فاصلا بين نهاية الجيل الأول من الصليبيين والذى قدم مع الحملة الأولى، وبداية الجيل الجديد الذى بدأ دوره يظهر على مسرح الأحداث فى بلاد الشام والذى نظر إلى هذه البلاد على أنها موطنه كما أشار فوشيه دوشارتر [28] 0

هناك فريق ثالث يرى أن عصر المستوطنين الفرنج Epigoni يبدأ عام 1143، ويشير على أن هؤلاء هم الذين نشأوا بالشام، وتطبعوا بطابع جيرانهم فى الملابس والعادات[29] 0

---

(1) براور: المرجع السابق، ص 44 0

(2) ماير : المرجع السابق،ص 231 0

(3) يقول فوشيه "الذى كان من أهل ريمز أو شارتر أصبح من سكان أنطاكية وصور، لقد نسينا بالفعل الأماكن التى شهدت مولدنا، لقد صار الذى كان رومانيا أو فرنجيا فى هذه الأرض من أهل الجليل أو فلسطين"، انظر : فوشيه دوشارتر، المصدر السابق، ص 316، ومما يجدر ذكره أن تركيز بعض المؤرخين على عام 1131م/526هـ، يعود إلى أنه عام اكتمال نمو مملكة بيت المقدس التى امتدت حدودها من بيروت شمالا إلى العريش وأيلة جنوبا، واعترف بسلطانها إمارات الفرنج الثلاث، وكان لزاما على الفرنج أن يحرصوا على حمايتها . انظر: باركر : المرجع السابق، ص 47-48، فيما ذهب بالار إلى أن 17.5% من الموجودين فى الأراضى المقدسة عام 1131م/526هـ كانوا من الذين تناولوا الصليب فى عام 1095، 1096/489-490هـ وهو بذلك يظهر مدى أهمية الهجرة السلمية التالية للحملة الصليبية0 انظر : بالار، المرجع السابق، ص 156 0

(1) باركر : المرجع السابق، ص 72، حـ1، وكلمة Epigoni تعنى التابع أو الوريث0

ويرى الباحث ترجيح عام 526/1131هـ وهو العام الذى شهد وفاة بلدوين الثانى (1118-1131م/512-531هـ)، وكذلك جوسلين Joscelin صاحب الرها (1118-1131م/512-531هـ) – وكان قد سبقهما فى العام السابق بوهمند الثانى Bohemond II (1126-1130م/520-525هـ) أمير أنطاكية – إذ أن هذا العام يعتبر حداً فاصلاً بين جيلين: الجيل الأول، وهو الجيل المتحمس للحرب، المتعصب ضد المسلمين، والجيل الثانى، الذى كان جيلاً جديداً يؤثر السلامة ويرغب فى التعايش السلمى متى وجد إلى ذلك سبيلا[30]0

هذا التعايش السلمى كان يتنافى مع حاجة المملكة إلى رجال للدفاع عنها، وحاجتها كذلك إلى الدعم المالى المستمر، وهذا أمر لا يتحقق إلا باستمرار الاتصالات بأوربا الغربية، حيث ظل الوجود الصليبى فى الشرق أشبه برضيع لم يكتب له النمو الطبيعى من خلال ارتباطه المرضى بالوطن الأم اوربا – كما يقول أحد المؤرخين المحدثين– [31] ورغم أهمية هذا الارتباط، إلا أنه ظل نقطة الضعف الخطيرة لذلك الوليد التى ليس لها حل فى إطار الصراع الصليبى الإسلامى [32]0 زاد

---

(2) يقول رونيه جروسيه : "خلال الربع الأول من القرن الثانى عشر تأسست فرنسا جديدة فى الشرق، واستطاعت أن ترسى جذورها الصلبة فى بيئة محلية بسرعة وحيوية مذهلتين" . انظر :
Grousset; R., Histoire des Croisades et du Royame Franc de Jerusalem, 3vol. Paris, 1998, Vol. I., PP. 87-88.

بينما يرى مؤرخون آخرون أن تمشرق الفرنجة، والصداقات التى عقدها حكامهم مع أندادهم من المسلمين قضايا سطحية وحتمية سواء بسواء0 انظر :

Johns, E.N. : The attempt to Colonize palestin and Syria in the Twelfth and Thirteenth Centuries in J.R.A.S, Vol. XXI, 1964 p.292. Smail, op.cit, p.168.

(3) محمد مؤنس عوض : المرجع السابق، ص 184 0 ويرى المؤرخ سميل إلى أن الحاجة إلى إضافة قوات عسكرية للمملكة كانت مسألة حادة، ودرامية كما فى الروايات؛ ويرى كذلك عدم جدوى إرسال أفراد وسفارات إلى الغرب فى مهمة لإقناع الحكام هناك بضرورة زيادة حجم الإمدادات للمملكة الصليبية انظر : Smail, op.cit,p.159.

(1) أشار المؤرخ كاهن إلى حرص كثير من القادمين على تزويد المستوطنين بأخبار الغرب رغبة منهم فى الحفاظ على الوعى بالانتماء، ويشهد على ذلك أيضا إرسال رفات القديسين إلى كنائس الوطن الأصلى فى أوربا0 انظر: كاهن المرجع السابق، ص 135 0

الطين بلة نقص المقاتلين وحاجة المملكة إليهم مما اضطرهم للاعتماد على المرتزقة سواء كانوا مسيحيين أو غير مسيحيين، فقد كان المهم هو كفاءتهم القتالية، وكان من الأفضل أن تكون هذه الكفاءة فى تخصص معين كأن تكون الفروسية أو رماية السهام أو إجادة استخدام القذائف ...إلخ [33]0 كان الكثيرون من هؤلاء القادمين منذ وصولهم لا يريدون إلا القتال والاشتباك مع المسلمين، دون أن تكون لهم دراية بالساحة ولا الظروف السياسية أو العسكرية للمملكة، وهو أمر يفسر مثلا فشل الحملة الثانية أمام دمشق (1147–1148م/542–543هـ)، ومن الأمور الطريفة أن المؤرخ المسلم أسامة بن منقذ لاحظ بذكاء أن هؤلاء القادمين الجدد يتسمون بالجمود والتبلد حين قال : "إن كل من هو قريب عهد بالبلاد الفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين تبلدوا وعاشروا المسلمين"[34]0

هنا ومع ظهور هؤلاء القادمين الموتورين تغيرت الصورة، وتعرض الشعور بالمواطنة لدى المستوطنين إلى الاهتزاز فحدثت الفجوة بين الطرفين، فبعد ان كان الجيل الأول وبعد فترة الجيل الثانى من النبلاء الفرنج المستوطنين يستقبلون بالترحاب اولئك القادمين الجدد إلى المناطق الصليبية بشكل تلقائى، فإنه بحلول منتصف القرن الثانى عشر الميلادى / منتصف القرن السادس الهجرى طرأ تحول وتغير فى موقفهم هذا، فاعتبروا القادمين الجدد منافسين لهم، ومتطفلين 0 وتجلى هذا الموقف العدائى تجاه القادمين الجدد فى وقوف النبلاء الفرنجة المحليين فى وجه ثييرى دو فلاندر Thierry De Flander[35]0 الذى قام بأربع رحلات حج إلى الأراضى المقدسة

---

(2) ستامبولى : مفاتيح اورشليم القدس، حملتان صليبيتان على مصر (1200–1250) ترجمة عايدة الباجورى، مراجعة وتقديم إسحاق عبيد، القاهرة، 2004م، ص 72 0

(3)كان أسامة يقصد بعبارة "تبلدوا" أنهم عاشوا فى البلاد فترة من الزمن، انظر : أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار، حرره فيليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، د0ت، ص 134، وانظر أيضا : بالار : المرجع السابق، ص 143 ، وسيأتى الحديث بالتفصيل عن الحملة الثانية وأسباب فشلها فيما بعد، والجدير بالذكر أن موقف الفشل نتيجة الجهل بالساحة وظروفها تكرر بعد ذلك فى الحملتين الخامسة والسابعة0

(1) ثييرى كونت الفلاندرز خليفة شارل دوفلاندر، وزوج ابنة الملك فولك دانجو ملك بيت المقدس 0 زار الشرق الفرنجى اربع مرات، كانت الأولى عام 1130 وقدم فيها بعض المساعدة، وعندما جاء

حيث عارضوه ونفروا منه، ووصل الأمر بهم إلى تفضيل التفاوض مع المسلمين المحاصرين فى شيزر، وفك الحصار فى عام 1157م/552هـ لكى لا يروا مدينة شيزر تخضع لسيطرة أحد القادمين الأوربيين الجدد [36] وهكذا بدا واضحاً أن النبلاء المحليين كرهوا أن يصبحوا تابعين لهؤلاء الأوربيين الذين حضروا إلى الأراضى المقدسة لتقديم المساعدة لهم[37]0

والواقع أن طبقة النبلاء الصليبيين المحليين كانت قد تشكلت بشكل واضح فى الربع الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى/ الربع الثانى من القرن السادس الهجرى، وصار دخول اى قادم جديد إليها مسألة صعبة، خاصة بعد أن تكونت دائرة

للمرة الثانية شارك فى الحملة الصليبية الثانية وفى حصار دمشق سنة 1148م/543هـ0 وبعد استيلائه على المدينة كان يرغب فى تسلمها كمنطقة نفوذ من ملك فرنسا أو الإمبراطور الألمانى بمعزل عن ملك القدس الذى كان من وجهة نظره صاحب إقطاعية وغير جدير بلقب السيد الأعظم0 ولما جاء للمرة الثالثة فى عام 1156–1157 كان سلوكه مشوشاً وعارضه بارونات الشرق الفرنجى، ثم جاء آخر مرة عام 1164م/560هـ لنجدة المملكة، لكنه فى النهاية لم يحقق شيئا ذى قيمة، مع أن وليم الصورى كان ينظر إليه كأنه ملاك من السماء ساقه الله إلى الشام لنجدته من ضغوط نور الدين محمود 0 عن رحلاته، وظروق إقامته فى الشرق، وعلاقته ببارونات الشرق الفرنجى ورجاله، انظر وليم الصورى: المصدر السابق، جـ2، ص 851، 890، وانظر أيضا: كاهن : المرجع السابق، ص 132، عبد الحفيظ محمد على : مشكلات الوراثة فى مملكة بيت المقدس وأثرها على تاريخ الحركة الصليبية 1131–1187، القاهرة، 1984م، ص 67

(2) نجح جماعة من المغامرين الحشيشية فى الاستيلاء على قلعة شيزر بعد أن أصابها زلزال كبير فى عام 1157م/552هـ، ولقد نجح الفرنج بعد ذلك فى الوصول إلى المدينة السفلى فوقعت فى أيديهم، وكانت القلعة الحربية فى طريقها للاستسلام لولا حدوث الشجار بين الفرنج = =حيث كان بلدوين يريد منح المدينة لثيرى دو فلاندر لتكوين نواة لإمارة يتولاها باسم ملك بيت المقدس، لكن رينو دو شاتيون Renaud De Chatillon زعم أن بنى منقذ كانوا يؤدون الإتاوة لأنطاكية، ولذا طلب من ثييرى أن يبذل له الولاء عن شيزر 0 للتفاصيل انظر : وليم الصورى : المصدر السابق، جـ2، ص 853–854، وكذلك رنسيمان:تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العرينى، بيروت، ط2، 1982،جـ2،ص 563–564

(1) براور : المرجع السابق، ص 634 0

مغلقة من العائلات الغنية من ملاك الأراضى، وهى العائلات التى ارتبطت فيما بينها بأواصر المصاهرة وروابط القرابة التى ترجع إلى الأسلاف والأجداد، وبسبب التزاوج المتكرر بين هذه العائلات أصبح عدد أفرادها قليلاً، فى الوقت الذى تنامت وكثرت ممتلكاتهم باستمرار [38]0

وهكذا تتضح أبعاد الصورة وتبدو الفجوة فى العلاقة بين الجانبين ظاهرة فى رغبة الفرنج المحليين المستوطنين فى تجنب المعارك والتعايش السلمى مع المسلمين إذا أمكنهم ذلك من ناحية، ومن ناحية أخرى يبدو حرصهم على ما حققوا من مكاسب وغنائم وثراء وملكية أراضى خوفا من حسد وحقد القادمين الجدد؛ لذا قفلوا على أنفسهم وأغلقوا عائلاتهم على شبكة العلاقات الضيقة فيما بينهم 0 أما القادمين بروحهم المتعصبة وتهورهم ورغبتهم هم الآخرين فى الحصول على مكاسب أو البقاء والتنعم بخيرات الشرق كلها كانت دوافع تجعلهم ينظرون إلى الفرنج المحليين نظرة غيرة وحقد وحسد تجلت وتجسدت بشكل واضح فى وصف الفرنج المستوطنين بكلمة البولانى Pullanus أو Poulains وهى كلمة من اللغة اللاتينية الوسيطة مشتقة من بولوس Pullus [39] وقد استخدمها الغربيون والكتاب صفة للفرنج المولودين فيما وراء البحار أى فى الأراضى المقدسة، والذين لهم مستقر دائم فى سوريا تمييزا لهم عن الصليبيين

---

(2) أبرز هذه العائلات المغلقة عائلة الفلاندريين، وأسرة إبلين Iblin الذين ينحدر أفرادها فيما يبدو من أصل إيطالى نورمانى متواضع جداً (إلا أنهم كانوا مستقلين عن نورمان انطاكية)، وفى مرتبة أعلى بعض الشيئ أسرة كورتيناى Courtenay الذين سيكونون ممثلين للأسرة اللاتينية فى القسطنطينية، ثم أفراد اسرة لوزينان luzignan وأسرة بريان Bruian ...إلخ0 للتفاصيل انظر:

Ducang, Les Familles d’outremer, publiee par, M.E.G.Rey, Paris, 1869, p. 262; CF. also, La Mont, The old lord of Bierot, 1177-1236, in, Byzantion,T.XII,1937,p. 423.

وانظر أيضا، كاهن المرجع السابق،ص 134، العرينى: المرجع السابق،ص 46،براور : المرجع السابق،ص 94

([1]) هذه الكلمة تعنى صغير حيوان ما، وتعنى مُهر، والملاحظ أنها وردت على أنها فرنسية قديمة 0 انظر :

Chatelian, E., Lexiqwe latin – Francais, Paris, S.D, p.352.

الذين يجيئون ثم يرحلون، ويشير بالار إلى أنها تعنى ابن الفرس أو (المهر) ويشير إلى أن الكلمة فى أواخر القرن الثانى عشر تحمل شحنة عاطفية، لكنها تشهد انحطاطاً دلاليا يفسر تداعى الصلات بين الغرب ودول الشرق الفرنجية [40]0

وهناك من يشير إلى أن هذه الطبقة او الفئة تأثرت بالحضارة الشرقية نتيجة للاستيطان فى الشرق والدليل على ذلك عبارة فوشيه دوشارتر "نحن الذين كنا غربيين صرنا شرقيين" [41]، وقد تعرضت هذه الطبقة لحملة شعواء من قبل مدونى الأخبار الغربيين، حيث أنحوا عليهم وعلى أسلوب حياتهم باللائمة، وأنهم سبب الكوارث التى حلت بالمملكة[42] وسنتناول ذلك فى الصفحات التالية من البحث

([2]) فى القرن الثالث عشر شكل البولانيون Poulains جماعة سياسية متجانسة0 وبما انهم يعتبرون المستعمرات اللاتينية أرضهم، فهم يؤكدون هوية منفصلة عن هوية الغربيين؛ ولذا فليس هناك ما يدعو للدهشة إذا ما استخدم القادمون الجدد كلمة بولان كنوع من الشتيمة او التحقير من شأنهم، إذ انهم ادركوا اتساع الشقة بينهم وبين فرنج الشرق 0 لكن هناك امر ساهم فى تشكل هذه الاتجاهات الوطنية الغربية وهو زيادة قوة التجار الإيطاليين وهو أمر خدم المصالح الاقتصادية المحلية، وكذلك تأسيس هيئة الفرسان الألمان التيوتون التى خدمت سياسة الشتاوفيين ضد متطلبات الأرض المقدسة0 ولقد اشار مؤرخون آخرون إلى ان حياة البولانى= =المنزلية وعلاقاتهم الأسرية وخصوصياتهم كلها كانت انعكاساً لأوربا، ولفرنسا على وجه التحديد. أنظر : براور : عالم الصليبيين0 ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم، ومحمد خليفة حسن، عين للدراسات، القاهرة، ط 1، 1999، ص 141، 147، عزيز سوريال عطية : الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر، القاهرة، ط 2، 1990، ص 53، وأيضا بالار : المرجع السابق، ص 156، ماير، المرجع السابق، ص 231 0

([3]) فوشيــه : المصدر السابق، ص 316 0

([1]) يقول فيترى عن البولان : "لقد سمنوا وغلظوا واكتسوا شحما، ومن بين ثراهم وترفهم ظهر المكر لديهم والخبث، وعندما اكلوا حتى شبعوا ارتكبوا الفسق، وهرولوا طوائف إلى مواخير الزانيات...إلخ 0 انظر : فيترى: المصدر السابق، ص 99، وأيضا، بورشارد من جبل صهيون، وصف الأرض المقدسة، ترجمة سعيد البيشاوى، مراجعة مصطفى الحيارى، عمان، الأردن، ط 1، 1995، ص 171، وليم الصورى، المصدر السابق، جـ2، ص 786–787 0

والجدير بالذكر أن الحديث السابق عن الفجوة التى حدثت والشقاق الذى زاد بين القادمين الجدد من الصليبيين والفرنج المستوطنين سيجرنا إلى نقطة هامة تتعلق بنوعيات القادمين الجدد، والظروف التى أدت إلى تواترهم لزيارة الأراضى المقدسة؛ ومنها نستطيع تلمس حجم المساعدات التى قدموها للفرنج البلديين فى الشرق، وكذلك نحدد كمية السلبيات التى ترتبت على مجيئ هؤلاء القادمين الجدد ومن خلالها سنتبين أشهر الأزمات التى تسببوا فيها0

تعددت نوعيات القادمين الجدد إلى الأراضى المقدسة، وتعددت كذلك دوافعهم، وإن كان معظم القادمين الجدد قد قدموا بنية القتال فى سبيل استرداد الأراضى المقدسة، وساهم بعضهم بالفعل مساهمة فعالة فى مساعدة الفرنج المستوطنين، لكن هناك من قدم بنية القتال ولم تساعده الظروف على أداء ذلك الدور مثل وليم كونت نفار William Conte Navarre عام 1168م/564هـ الذى كان سيداً مهيباً، قدم من مملكة فرنسا بمرافقة مجموعة من الفرسان، إلا أن الموت المبكر عاجله، فحال بشكل مؤسف بينه وبين هدفه، حيث أصيب بداء مزمن كما يقول وليام الصورى وتوفى بعد مدة من نفس العام، فحزن الجميع على موته وتأسفوا عليه [43]0

وهناك – إلى جانب القادمين بنية القتال – من قدم لأداء بعض المهام الدينية، أو كما زعموا حملهم لدعاوى دينية متنوعة: مثل من قدم بقصد زيارة الأماكن المقدسة مثل بيت لحم والناصرة0 فقد كانت قصص الإنجيل مثيرة وذات جاذبية تحث كل مسيحى وحاج أوربى من الأتقياء ومحبى التعلم على التفكر والتأمل طوال العام، وتداعب خيالهم باستمرار، وبالتالى لم تغفل أهمية المزارات المقدسة فى هذه المناطق، وكذلك المدن ذات الطابع الدينى [44]0 كذلك كان هناك من قدم بنية الحصول على بعض الرفات من بيت المقدس، وهذه الرفات كان بعضها يحظى بتأثير فعال وقوى عند الإنجليز، ومن هؤلاء جودريك أوف فينشال Goderic of Finchale0 وكذلك هناك من قدم وكانت لديه رغبة فى التكفير عن خطاياه وآثامه 0 وكان قدومه فى

---

(2) وليم الصورى : المصدر السابق، جـ2، ص 926 0

(1) براور : المرجع السابق، ص 199، 218 0

حملة يعتبر بمثابة تعويض عن جرائم محددة أو خطيئة عامة، كما حدث فى عام 1128م/522هـ حين ذهب أحد رجال مقاطعة ويلز Welsh ويدعى مورجان ابن جادوان Morgan Gadwan إلى بيت المقدس تكفيراً عن قتل أخيه [45]0 وأخيراً كان هناك بعض الرهبان الذين أتوا – كما أعلنوا – لنجدة من يتعذبون ويموتون فى سبيل المسيح[46]0

ولم تكن الدعاوى الدينية، أو المشاركة فى القتال من قبل القادمين الجدد من الصليبيين هى السبب الوحيد فى قدومهم إلى الأراضى المقدسة، فهناك جانب كبير من القادمين كان مجيئه رغبة فى الزواج من الوريثات الشابات من الفرنج المستوطنين واللائى كان قلبهن يخفق بمجرد رؤية بعض النبلاء الفرنج من القادمين 0 وكذلك كان هناك من قدم للحصول على ميراثه، والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها قدوم أدلايد Adelaide أرملة روجر ملك صقلية Roger II (1101–1154م/495–549هـ) للزواج من بلدوين الأول فى عام 1113م [47]، وكذلك قدوم فولك الخامس انجو Foulque d'Anjou للزواج من ميليسند Melisend الإبنة الكبرى للملك بلدوين الثانى، وهو الزواج الذى حدث بالفعل فى صيف عام 1129م/524هـ[48]، كذلك نجح

---

(2) زينب عبد القوى : الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة من 1189–1291، القاهرة، ط 1، 1996، ص 96، حـ1 0

(3) مثل الراهبان فرنسوا Francois من بلدة أسيس، ودريتى Drety من إيطاليا..انظر : ستامبولى، المرجع السابق، ص 109 0

(1) كانت غاية بلدوين من هذا الزواج الحصول على مساعدة بحرية ودبلوماسية من ابنها روجر الثانى، كما أن أدلايد حملت معها أموالاً طائلة كان بلدوين فى مسيس الحاجة إليها 0 (فوشيه : المصدر السابق، ص 252)، لكن ضياع ثروة أدلايد، وإحساسها بالإهانة والخداع الذى تعرضت له دفعاها إلى العودة إلى بلادها فى العام التالى، مخلفاً جرحاً عميقاً وشرخاً كبيراً فى العلاقات بين ابنها روجر الثانى والمملكة اللاتينية فى القدس، وهو أمر كانت له تداعياته فى العلاقات بين الطرفين بعد ذلك. للمزيد انظر : وليام الصورى : المصدر السابق، ج 1، ص 566، وانظر أيضا، عبد الحفيظ محمد على : المرجع السابق، ص10 0

(2) وليم الصورى : المصدر السابق، ج1، ص 643–644 0

ريموند ابن كونت بواتييه Raymond De Poitiers فى عام 1133م/528هـ ومن خلال الأحاييل والخدع التى نهجها فى الوصول إلى عرش انطاكية بالزواج من وريثتها كونستانس Conistance [49]، والأمثلة على هذه النوعية تضم قائمة طويلة لا مجال هنا لذكرها كلها، وإن كان من أبرز هؤلاء رينو دو شاتيون أو أرناط "الفارس اللص" كما يعرف فى بعض المراجع والكتب، وكذلك جى دو لوزنيان Guy De Lusignan الذى تزوج من سيبيل Sypilia أخت بلدوين الرابع ملك بيت المقدس[50]0

وهناك نوع آخر من القادمين الجدد من الصليبيين كان قدومه بقصد الوصول إلى الحكم، وبعضهم رأى فى ذلك نوعاً من التعويض أو الانتقام أحياناً، والأمثلة متعددة نذكر من أبرزها : قدوم برتران Bertrand بن ريموند صانجيل إلى طرابلس ومعه الجنوية بأسطول مكون من 70 سفينة بهدف محاصرة المدينة وامتلاكها بالحق الوراثى عن أبيه [51]0 وكان منافسه آنذاك وليام جوردان William Gordan الذى كان يقيم فى غابة قرب طرابلس تسمى جبل الحجاج، وقد دار بينهما حوار دافع فيه كل طرف عن حقه فى المدينة [52]، وهذا الحوار يعبر فى النهاية وبشكل واضح عن

---

(3) المصدر السابق، جـ1، ص 680–682 0

(4) براور : المرجع السابق، ص 97 ، Smail, op.cit,pp.161-162.

([1]) ذكر البرت ديكس إلى أن برتراند رحل من فرنسا ومعه 4 آلاف رجل، وأربعون سفينة، وأبحر إلى بيزا حيث انضم إليه الجنوية بنحو ثمانين سفينة.انظر .Albert d'Aix, op.cit, p.665

أما كافارو فقد ذهب إلى أن الجنوية ساعدوه بستين سفينة . انظر :

Cafaro de Caschifellone; De liberation Civitatum Orientis, ed., R.H.C-H.occ., T.V, Paris, 1895, pp.70-72.

ويذكر ابن القلانسى أن برتراند وصل إلى طرابلس بستين سفينة محملة بالفرنجة . انظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق، نشرة أ0امدورز ، بيروت، 1908، ص 163 0

([2]) نشر فوشيه دو شارتر الحوار وجاء فيه : "قال برتراند "يجب أن تكون المدينة لى بحق الإرث لأن أبى هو الذى بدا يهاجم المدينة فى الأصل، فقد بنى هذه القلعة القوية المسماه جبل الحجاج، وعندما كان لا يزال على قيد الحياة منحنى طرابلس كى أتولاها بعد مماته"، بينما قال وليام جوردان : ولكنها يجب أن تكون لى أنا عن حق، لأننى منذ موت الكونت ريموند توليت مراقبة السكان

حقيقة دوافع كل طرف باعتبار احدهما ممثل للفرنج المستوطنين وهو وليام جوردان، والآخر وهو برتران يمثل حزب القادمين الجدد، والحوار يشير فى مضمونه إلى أن الفرنج المستوطنين قد يقبلون – بدافع من مصلحتهم الخاصة – أن يشاركهم الجدد بعض ممتلكاتهم وامتيازاتهم، لكن أن يسلبوا منهم كل ما حققوه فإنهم ساعتها يتحولون إلى أعداء يمقتون ويكرهون القادمين الجدد، ولا يتركونهم يحققون اطماعهم وجشعهم، بل يعوقونهم ويقفون فى وجههم بشدة، نستنتج ذلك من كلمات فوشيه حين يقول "إن برتران لم يكن يريد لوليام النجاح، أما وليام فلم يكن يريد له الحياة" [53] 0

ومن أبرز الأمثلة أيضاً على القادمين الجدد الذين كانت نيتهم الوصول إلى الحكم بأى طريق رجل يدعى مناسيس دى هيبرج Manses d’Hierges وهو ابن هوديرن Hodierine شقيقة بلدوين الثانى 0 وكان قدومه إلى الأراضى المقدسة فى عام 1140م/535هـ، وهو رجل كفلت له مواهبه وصلاته الارتقاء المطرد فى سلك الوظائف، وخاصة علاقته بالملكة وثقتها المطلقة فيه، ثم ازدادت مكانته ارتقاءً بزواجه من هلفيس Helvis وريثة الرملة، لكنه كان شخصاً مغروراً عامل نبلاء المملكة – ومنهم أبناء زوجته – بجفاء وعجرفة، وهذا الأمر كان سببا رئيسياً فى نهاية طموحاته قبل أن تستفحل، وخاصة أن وجوده كان يشكل خطراً على ورثة إقطاع الرملة[54] 0

المعادين بصراحة بقوتى الخاصة، وقد ناضلت وعملت على ضم الأراضى المجاورة للمدينة" 0 انظر فوشيه : المصدر السابق، ص 236 0

([3]) المصدر السابق، ص 237 0

(1) وليم الصورى : المصدر السابق، ج2،ص 796 0 انظر أيضا : ماير: المرجع السابق، ص 167–168 0 ولقد وقف أبناء هلفيس الثلاثة ضد زواج والدتهم من مناسيس وعارضوه خوفا من أن يتسبب هذا الزواج فى ضياع ميراثهم إذا ما أسفر عن مولود ذكر، لكن الحقيقة أن هذا الزواج لم يسفر إلا عن بنتين، تزوجت الكبرى من أناسيودى براى Anceou de Brie وهو أحد ابناء جون إبلين أمير بيروت الكبير، أما الثانية فقد تزوجت شخصاً يدعى هيج دو ميمار Hugue de Mimars فى عام 576/1180هـ. للمزيد انظر :

هناك صنف آخر من القادمين الجدد وهو نوع معتدل قام افراده بالتحكيم فى بعض المشاكل أو بتقصى حقائق بعض الأمور أو كانوا رسل صلح، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قدوم بطرس Pierre Archiepiscopal de Lion رئيس أساقفة ليون فى ربيع 1139م/534هـ للنظر فى القضية المثارة بين ريموند الثانى كونت طرابلس Raymond II (1137-1152م/532-547هـ) والبطريرك رادولف نفسه Radolf 0 غير ان بطرس كان رجلا طاعناً فى السن إذ مات بعد زيارته للأماكن المقدسة وكانت وفاته بعكا وهو فى طريقه إلى الشام، وقيل أن السم قد دس له قبل أن يصل أنطاكية، لكن لم يحدد وليم الصورى صاحب الرواية إلى من توجه أصابع الاتهام [55] 0

كذلك قدم الراهب المعروف فرانسوا الأسيسى Francois d'Assises مؤسس طائفة الفرنسيسكان سنة 1208م/605هـ إلى معسكر الصليبيين أمام دمياط وهو فى حالة يرثى لها، حيث اعتقد مثلما اعتقد من سبقوه أو من تبعوه بعد ذلك أن بوسع بعثة سلام أن تحل الأمن والسلام، وصادفت هذه الرغبة هوى فى نفس الملك الكامل محمد (1218-1238م/615-636هـ) الذى كان يرغب هو الآخر فى السلام [56] 0

كما أرسل الملك جان دو بريين Jean De Brienne اثنين من عقلاء القادمين الجدد كرسل صلح إلى الملك الكامل وهما أملين دو ريورت Amelin de Riorte

---

Ducange, op.cit, p.361, De Collenberg, W.H.R., Les premiers Ibelins, in, Le Moyen age, T.71, paris, 1965, pp.453, 469, Pringle, D., The Castel and Lordship of Mirable, V.R., 1979, P. 95-96.

([2]) وليم الصورى : المصدر السابق، ح2 ، ص 716-717، رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 353-354 0

(1) Ernoul, Chronique d'Ernoul et de Bernard Le Tresorier, ed, Mas Laterie, Paris, 1871, p.431.

وانظر أيضا : رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 283 0

وهو من مقاطعة أنجو Anjou، والآخر يدعى وليم، واصطحبا معهما ترجماناً يدعى موستار Mostar، وتوجه ثلاثتهم بصحبة المبعوث إلى الملك الكامل (57)0

كان هناك نوع من القادمين الجدد جاء من أجل التجارة مثل تجار بريمن الألمان الذين رافقوا الكونت هولشتاين Holshtienn وقواته القادمة للمشاركة فى حصار عكا 1190م/586هـ(58)، ومنهم من حقق أموالاً طائلة كانت طريقه للثراء مثل رجل كشفه رجال صلاح الدين – بعد فتح بيت المقدس وحصار من بداخله – وجدوا معه جرة يحملها على كتفه فظنوا أن بها خمراً وأرادوا تطهير البلد منه، فجذبوا العصا من على كتف الرجل فسقطت الجرة فوجدوها مملوءة بالنقود مما أثار دهشتهم واستغرابهم، وقيل أن هذا الرجل كان انجليزيا وحينذاك أمر صلاح الدين ألا يؤذن لأحد بالخروج حتى يدفع فديته(59)0

ومنهم كذلك رجل يدعى جون دو فالنسيين Jean de Valencienn الذى كان قريبا جداً من الملكة ميلسند وحصل على أموال طائلة ثم ترقى حتى أصبح من كبار رجال الدولة الأثرياء(60)، وغير هؤلاء كثيرون لا مجال لذكرهم0

ومن القادمين الجدد نوع آخر ممن يمكن أن نطلق عليهم قادمين حققوا بعض الإنجازات الأدبية والعلمية؛ ومن هؤلاء الذين صاروا نموذجا – احتذى به آخرين ونتج عنه نوعاً من الأدب السياسى الجديد – شخص يدعى رينودو مونتوبان Renaud de Montouban والذى أنجز أعمالاً بطولية فى الأراضى المقدسة، وكذلك رجل يدعى

---

(2) محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة (حملة جان دى بريين على مصر 1218–1221)، الإسكندرية، 1978، ص 238 0

(3) بالار : المرجع السابق،ص 138 0

(4) مؤرخ مجهول : ذيل وليام الصورى، ترجمة حسن حبشى، القاهرة، 2002، ص 122 0

(1) ظهر هذا الرجل فى وثائق بيت المقدس فى الوثيقتين 562، 1167 0 انظر :

Rohricht, R., ed, Regerta Regent Hierosolymitana, 2 vols, Insbruck, 1893-1904, Doc. 562, 1167.

بيفيز من هامبتون Bevis of hamptoun الذى زار بيت المقدس، وتزوج بابنة أمير [61]0

ومن هؤلاء أيضاً فيما يبدو مؤلف قصيدة أنشودة الحقراء أو الشحاذين Chanson de Chétifs إذ أنه من القادمين الجدد بالشرق الفرنجى، والدليل على ذلك أن المعلومات التى جاءت بها هذه القصيدة اعتمدت على أساس تاريخى بعيد عن الدقة تماماً، رغم أنها حظيت بقبول وافر بالشرق الفرنجى آنذاك [62]0

هناك أيضاً فيليب دوناتوى Philippe de Nanteuil الذى أسر فى القاهرة، ونظم قصائد عن وطنه فرنسا، عبرت عن أحاسيسه ومشاعره المكبوتة فى الأسر، وحنينه إلى وطنه[63]0

ولم يكن بين القادمين الجدد شعراء وأدباء فقط، بل جاء إلى الشرق الفرنجى بعض العلماء من بينهم إدلار دوباث Adelar de Bath الذى درس على العرب علمى الفلك والهندسة، وطاف بمصر وسوريا وآسيا الصغرى فى النصف الأول من القرن الثانى عشر/ النصف الأول من القرن السادس الهجرى، ومن الثابت أيضا أن ليوناردو فيبوناتشى Leonardo Fibonacci قد طاف بمصر والشام وهو أول عالم مسيحى اشتغل بالجبر، وكان معاصراً لفريدريك الثانى (1198-1250م/495-648هـ) Frederick II وإليه قدم بحثه فى الأعداد المربعة Square Numbers[64] 0

أما أصعب وأسوأ نوعيات القادمين الجدد من الصليبيين، فهم أولئك الذين قدموا للقيام بمغامرة بقصد السلب والنهب من ناحية، والذين قدموا للتمتع والمجون والخلاعة من ناحية أخرى0 والحق يقال أن هذين النوعين كانا يشكلان أكبر نسبة من

([2]) Archer, T.H. and Kingsford, C.L., The Crusades, The story of the Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1919, p.444.

([3]) الحويرى : الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد، القاهرة، 1979، ص227 0

([4]) Grousset, l'Empire du Levant, paris, 1946, p.327.

([1]) الحويرى : المرجع السابق، ص 228 0

الناحية العددية مقارنة بباقى النوعيات التى عرضنا لها فيما سبق 0 وهؤلاء يصدق عليهم وصف المؤرخة أنا كومنينا Anna Comnena التى وصفتهم بالوقاحة والعنف والجشع للحصول على المال، وقلة الاحترام لغيرهم، كما أن لغتهم تتسم بالدونية والسوقية أكثر من أى جنس آخر من أجناس البشر [(65)]، والمثل البارز على هذه النوعية بالذات رينو دو شاتيون أو أرناط وهو الابن الأصغر لجيوفرى كونت جيين وسيد إقطاع شاتيون سيرلوانج، ولما لم تكن له آمال فى وطنه فقد قدم إلى فلسطين ومكث بها، ودخل فى خدمة الملك الشاب بلدوين الثالث Baldwin III (1143-538/1163-559هـ) والذى صحبه معه إلى أنطاكية، وباقى القصة المرتبطة بتسلقه وصعوده إلى مرتبة الأمير معروفة ولا تحتاج إلى مزيد من الكلام، لكنه عرف بصفات الغدر والخيانة والتهور والاندفاع واتى بغريب الأفعال التى تتنافى مع الأخلاق، وإلى جانب ما سبق، فقد كان فاسد الطباع، أعوزاً، ليس لديه أتباع، ويفتقر إلى بعد النظر السياسى، وظل حتى نهاية حياته مغامراً وغداً، لا يعرف ابعاد تصرفاته وعواقبها، حيث كان فيما بعد من أكثر الأسباب التى أودت بالمملكة كلها فى معركة حطين كما سنرى[(66)]0

([2]) كلام أنا كومنينا كان كلاماً عن الفرنج جميعهم، وقد عرضناه هنا لأنه ينطبق تمام الانطباق على هذا الصنف من القادمين الجدد الذين وفدوا بأعداد كبيرة أغلبهم من الأوباش، وفئران أرصفة الموانئ، ومتسكعوا الشواطئ، ولصوص الأرض والبحر والشحاذون، والمشعوذون، وخريجوا السجون، والهاربون من العدالة، والمجرمون السابقون، وأراذل أوربا، انظر : أنا كومنينا: الألكسياد، ترجمة حسن حبشى، القاهرة، 2004، ص 390، 391، وانظر أيضا: الحويرى : المرجع السابق، ص 49 ، وكذلك :. Holmest, op.cit, p. 3

([1]) يقول أبو شامة عن ارناط : أغدر الفرنجة وأخبثها وأفصحها عن الردى والرداءة، وانجسها وانقضها للمواثيق المحكمة، والأيمان المبرمة، وأنكثها وأحنثها" 0 انظر ابو شامة: الروضتين فى أخبار الدولتين، بيروت، د 0ت، ج2، ص 75 0 كذلك : وليم الصورى : المصدر السابق، ج 2، ص 814، 824، 868 0ولقد ورد فى المصادر البيزنطية على انه مجرد رينالد انظر :
Cinamus, J. Deeds of John and Manuel Comnenus, Trans by Ch. Brand, New York, 1976, pp. 178, 181.

وهناك أمثلة أخرى غير ارناط منها راينيه دو برو Rainier De Brous المعاصر للملك فولك دانجو قاطع طريق فى بانياس، وكذلك ما فعله أفراد حملة 1217م/614هـ من سلب ونهب عكا منازلها وأديرتها [67]، وغيرهم كثيرين0

أما من قدم بنية المغامرة والتمتع والمجون والاستهتار فلا تكاد تخلو صفحات المصادر اللاتينية منهم لدرجة ان فيترى عاب على جماعة الفرنسيسكان أنها ترسل إلى الشرق شباناً غير مؤهلين رآهم يحتاجون إلى نظام رهبانى صارم لفترة من الزمن[68]0 كذلك تضمنت بعض المراسيم الإنجليزية قيوداً صارمة تم القسم على مراعاتها، فى محاولة لتحاشى المجون والاستهتار، ومن بين هذه المراسيم عدم السماح للنساء بمرافقة الحملات الصليبية، باستثناء الغسالات ذوى السمعة الطيبة [69]، وكان إرسال النساء فى الحملات للتسرية عن الجنود أمر كثير الحدوث عرض لبعضه بالتفصيل المؤرخ المسلم العماد الأصفهانى [70]0

فى النهاية كانت هذه هى أبرز النوعيات التى قدمت من أوربا إلى الشرق الفرنجى0 وهناك نوعيات أخرى لا يتسع المجال لعرضها، لكننا هدفنا إلى استعراض هذه النماذج وتلك النوعيات لتوضيح الصورة، وبيان شكل العلاقة بين الفريقين

انظر أيضا : ماير : المرجع السابق،ص 170–171؛ رنسيمان : المرجع السابق، ج 2، ص 557–560، 577؛ انتونى بردج : المرجع السابق، ص 161، 187، 194 0

([2]) رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 367؛ عمران : المرجع السابق، ص 167 0

([3]) جاك دى فيترى : المصدر السابق، ص 126–127 0 وانظر أيضا : توماش ماستناك، السلام الصليبى، ترجمة بشير السباعى، القاهرة، 2003، ص 271 0

([1]) زينب عبد القوى : المرجع السابق، ص 110 0

([2]) قال العماد الأصفهانى يصف نساء الفرنج : وصلت فى مركب ثلاثمائة إمرأة أفرنجية مستحسنة، متحلية بشبابها وحسنها متزينة، قد اجتمعن من الجزائر، وانتدبن للجرائر، واغترين لإسعاف الغرباء، وتأهبن لإسعاد الأشقياء، وتلهبن على السفاح والسفاد، من كل زانية نازية، زاهية هازية، عاطية متعاطية، حاظية خاطية، متغنية متغنجة، متبرزة متبرجة، نارية ملتهبة.." 0 انظر : العماد الأصفهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق : محمد محمود صبح، القاهرة، 1965، ص 347–349 0

المتنافسين فى البداية، واللذين سيتحول تنافسهما بعد ذلك إلى أزمات وصراعات ستكون سببا مباشراً فى زوال المملكة بيت المقدس الصليبية، ورغبة فى إلقاء مزيد من الضوء على الظروف والملابسات التى أدت إلى حدوث الأزمة بين الفريقين نتحدث عن نوعية المساعدات التى قدمها القادمون الجدد إلى الفرنج المستوطنين وكيف ساهمت فى البداية فى توطيد العلاقة بين الفريقين، ثم ادت فى النهاية ونتيجة لتراكم كثير من السلبيات إلى مزيد من التوتر فى العلاقة وظهور الأزمات فيما بينهما 0

واقع الحال يشير إلى أن المساعدات التى قدمها القادمون الجدد من الصليبيين لأقرانهم من الفرنج المستوطنين لعبت دورها فى بقاء المملكة اللاتينية فترة طويلة من الزمان، كما ساهمت هذه المساعدات فى تجديد دماء قوات المملكة باستمرار، وكانت عاملاً مهماً فى ارتباط فرنج الشرق البلديين بالوطن الأم فى أوربا 0 وسنحاول هنا عرض نماذج لبعض هذه المساعدات لبيان طبيعة نظرة افرنج الشرق لهذه المساعدات فى بداية تاريخ المملكة الصليبية فى القدس، وكيف تحولت وتبدلت لترسخ مظاهر الغيرة والحسد والتنافس الذى تحول إلى تنافر مشكلا أزمة مستحكمة فى العلاقة بين الفريقين0

ولا شك أن أهم هذه المساعدات فى البداية كانت تعود إلى تحول كثير من الحجاج المسيحيين إلى مقاتلين، وهذا ما حدث بالفعل لجماعة من الحجاج الأكثر تواضعاً من الانجليز والفلمنكيين والدانيين الذين قدموا فى عام 1106م/ 500هـ[71]

وفى عام 1110م/504هـ استطاع بلدوين الأول أن يستولى على صيدا بفضل مساعدة ملك النرويج سيجورد Sigurd ابن ماجنوس الثالث MagnusIII الذى قدم إلى الأرض المقدسة بأسطول مؤلف من خمسة وخمسين سفينة[72]، وقد بدأ سيره عام 1107م/501هـ، وكان قد أمضى ثلاث سنوات يحارب المسلمين فى الأندلس، ويؤاخى النورمان فى صقلية [73]، وهنا نلاحظ أن الملك

([1]) رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 400 0

(2) Albert D'Aix, pp.677-678.

([3]) باركر : المرجع السابق، ص 44، رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 150–151 0

بلدوين بمجرد سماعه بقدوم سيجورد انطلق مسرعاً نحوه مرحبا به وبمن معه، وحاول أن يعرف هل عندهم استعداد للبقاء والمساعدة فى توسيع ممتلكات الصليبيين عن طريق جهودهم الحماسية ام لا0 وبعد أن تداولوا فيما بينهم، أخبروه بأنهم أتوا من اجل تكريس أنفسهم لخدمة المسيح، وأنهم على استعداد للتقدم بحراً بالسرعة القصوى نحو أى المدن الساحلية التى يرغب الملك فى الاستيلاء عليها، ولم يطلبوا شيئا مقابل خدماتهم إلا الطعام الضرورى(74)0

وهذه الحادثة توضح حالة الملك بلدوين وفرحه الشديد بمقدم هذه الفرقة ورغبته فى الاستفادة منها، وهى تبين حال الفرنج المستوطنين باعتبار بلدوين سيدهم وواحد منهم، وترتبط بأوضاعهم التى كانت تستدعى العون وإرسال الاستغاثات فى بداية عصر المملكة الصليبية، وتبين كذلك أهمية هذه المساعدات، كما توضح رد فعل القادمين الجدد الحماسى المرتبط بالإيمان بالفكرة الصليبية فى البداية، ذلك الحماس المرتبط بالتعصب ضد المسلمين والرغبة فى سحقهم 0 وهذه الروح المتحمسة المتعصبة للقادمين الجدد من الصليبيين لم تستمر طويلا على حالها وإنما طرأت عليها تغييرات وإلا فكيف نفسر الروح التجارية الجشعة التى ظهرت فى اتفاق البنادقة مع بلدوين أثناء حصار صور فى عام 1124م /518هـ(75)0

([4]) ذكرت المصادر أن سقوط صيدا كان عام 1110م/504هـ فمثلا البرت ديكس أشار إلى سقوطها فى ديسمبر 1110م/504هـ ، Albert d'Aix, op.cit,p.678. ، بينما يصر وليم الصورى على سقوطها عام 1111م/505هـ، كما يتضح أنه يفرق بين الاسكندنافيين والسكان المقيمين فى المملكة مع بلدوين والذين سماهم الفرنج الوطنيين 0 انظر وليم الصورى : المصدر السابق، ج1،ص 540–543 0

([1]) تم توقيع المعاهدة فى عكا بين ممثلين من البنادقة من جهة، وبين البطريرك جورمون Garmund، والكندسطبل وليام، ومستشار المملكة باجان Pagan من جهة أخرى، وذلك باعتبارهم نواباً عن الملك الأسير بلدوين الثانى 0 وبمقتضى هذه المعاهدة يصير للبنادقة فى كل مدينة بالمملكة شارع بكنيسة وحمام وفرن مع إعفاء كل ذلك من الإلتزامات العادية؛ وتكون لهم الحرية فى استخدام موازينهم ومكاييلهم فى أعمالهم التجارية، مع إعفائهم من كل الرسوم والضرائب الجمركية

ولقد تحولت هذه الروح بعد ذلك على أساس تقديم المساعدة لمن يدفع، أى المساعدة بأجر، وهذا ما حدث فى سجل المساعدات التى أرسلها ثييرى كونت فلاندرز عام 1130م/525هـ، وهى مساعدات لا نملك بشأنها رأيا حاسما [76]0 ثم ما حدث بعد ذلك خلال حصار عسقلان 1153م/548هـ يؤكد هذه الحقيقة فقد ظل الملك بلدوين الثالث محاصراً لها دون أن يحرز أى تقدم، نظراً لحصانة المدينة وكثافة السكان بها 0 وبعد حصار استمر شهرين، وصل ركب كبير من الحجاج المسيحيين 0 وبعد تداول فرنج الشرق مع بعضهم، أرسلوا إلى القادمين الجدد من الحجاج رسلا من قبلهم يحظرون عليهم بأمر من الملك العودة إلى الوطن، وجهت الدعوة لهم جميعاً على أساس دفع الأجور مقابل مشاركتهم فى الحصار وهو عمل مقبول من الرب إذا ما وافقوا[77]0 وبالفعل انضمت أعداد كبيرة من الحجاج إلى الجيش المحاصر للمدينة حتى تمكنوا من إسقاطها فى 22 أغسطس 27/1153 جمادى الأولى 548هـ أى بعد حوالى سبعة أشهر[78]0

ورغم ما سبق فقد تمت أحياناً مساعدات من القادمين الجدد إلى الشرق الفرنجى ورجاله بالصدفة البحتة، بعضها ساهم فى تحسن وضع الصليبيين فى البلاد مثل المساعدة التى قدمها هيج دو لوزنيان Hugue Luzignan وجيفرى مارتل Geoffroi Martel شقيق كونت أنجوليم إلى ريموند كونت طرابلس ورجال أنطاكية وساعدوهم فى الانتصار على نور الدين محمود فى حصن الأكراد عام

فى شتى أنحاء المملكة؛ إلى جانب امتيازات أخرى كثيرة لا مجال لعرضها هنا، وكل تعبر عن روح جشعة نهمة تفضل مصلحتها أولا وقبل كل شيئ، للمزيد انظر:

Tafel & Thomas, Urkunden zur alteren Handles und staatsgeschichte der Repubulik venedig, 3vols. Vienna-1856-57,Vol.1,pp.84-89; RRH, pp.23-25.

وانظر أيضا، ماير، المرجع السابق، ص 123 0

([2]) كاهن : المرجع السابق، ص 132 0

([1]) منذ ذلك العام 1153م/548هـ أصبح استخدام المال شائعا لتسيير الحرب فى الشرق، انظر وليم الصورى : المصدر السابق، ج2،ص812 ، ح1 0

([2]) وليم الصورى : المصدر السابق، ج2، ص 813، عبد الحفيظ محمد على، المرجع السابق، ص 64

1163م/559هـ[79] ، وإن كانت بعض هذه المساعدات قد سببت للفرنج المستوطنين مشكلات عميقة بعد ذلك، مثل تلك المساعدة التى قدمها بالصدفة أيضا رجال كونت نيفر إلى الملك عمورى الأول Amaury I (1163–1174م/559–570هـ) أثناء حصاره لمدينة – بلبيس المصرية سنة 1168م/564هـ، خاصة وقد قامت هذه الجماعة بإحداث مذبحة مروعة بسكان المدينة أذهلت الفرنج المستوطنين ذاتهم، حتى أن عمورى بذل جهداً خارقاً لوقف سفك الدماء، لكن سبق السيف العزل، فرغم نجاحه فى السيطرة على رجاله إلا أن الخراب قد حل، وقد ساهمت هذه المذبحة التى نزلت بالقوات المصرية التى كان يقودها آنذاك طيئ ابن شاور الوزير الفاطمى فى تغيير نفسية المصريين مسلمين وأقباط من ناحية الصليبيين[80]0

لم تقف المساعدات التى قدمها القادمون الجدد من الصليبيين إلى الفرنج المستوطنين عند حد المساعدات العسكرية بل تضمنت أيضا مساعدات مالية، والدليل على ذلك الرحلة التى قام بها ستيفن كونت سانكير Sancerre فى عام 1170م/566هـ إلى بيت المقدس حاملاً الأموال التى أمر لويس السابع (1137–1180م) ملك فرنسا بجبايتها لمساعدة بيت المقدس، ويؤكد وليم الصورى بأن ستيفن

(3) وليم الصورى : المصدر السابق، ج2، ص 888 ، وقد أشار المؤرخ ابن الأثير إلى أن الفيصل فى هزيمة نور الدين محمود فى البداية يعود إلى مشاركة القوات البيزنطية والتى شاركت بالفعل وكان على رأسها القائد قسطنطين كولومان، انظر : ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة، 1963، ص 137–138 0 وانظر أيضا : رنسيمان: المرجع السابق، ج2، ص 615 0

(1) وليم الصورى : المصدر السابق، ج 2، ص 926 ؛ وقد اشار المؤرخ رنسيمان تعليقاً على تلك الحادثة إلى أن السبب فى هذه المذبحة هم القادمون الجدد مع كونت نافار بحماستهم وتعصبهم خاصة وقد مات الكونت نفسه محموماً فى عكا عام 1168م/564هـ، فلم يعد هناك من يضبطهم من القادة0 انظر: رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 615–616، انتونى بردج: المرجع السابق، ص 173 0

بقى فى بيت المقدس فترة قليلة، حيث عرض عليه الملك عمورى أن يتزوج من ابنته سبيلا[81]0

كذلك كانت هناك بعض المساعدات التى أحدثت نوعاً من التعويض المادى والوجدانى ورفع الروح المعنوية لدى الفرنج المستوطنين، وخاصة عندما وقعت بعض الكوارث الكبرى مثل حطين مثلا؛ فنجد أن قدوم كونراد دو مونتفرات Conrad De Montfferat ونجاحه فى الوصول إلى صور والتحصن بقلعتها رفع الروح المعنوية لدى سكانها فرفضوا شروط الصلح التى أقرها صلاح الدين، واستمروا فى قتالهم ولم تسقط صور إلا بعد ذلك بزمن طويل[82]0

كذلك كان وصول أسقف فيرونا Bishop De Verona – وجماعة آخرين من بينهم "ولكين دى فرير"، Walkin De Freer وروبرت تروسيبوت Robert Tresipot، وكذلك أسقف سالزبورى – كل هؤلاء ساهموا فى التخفيف من آثار المجاعة التى عصفت بالصليبيين فى عكا 1191م/581هـ، فلهجت ألسنة الناس لهم بالثناء العاطر خاصة وقد أحسنوا إليهم، وعطفوا عليهم فى بلواهم "إذ هطلت شأبيب الرحمة" على الجميع كما يقول المؤرخ المجهول للحملة الثالثة[83]0

لكن النشوة والفرحة الحقيقية لدى الجميع مستوطنين وقادمين جدد زادت مع وصول ريتشارد قلب الأسد، فكان من الصعب أن تصادف إنساناً لا يلهج لسانه

([2]) كان ستيفن كونت سانكير حفيداً لستيفن كونت بلوا وشارتر، أحد قادة الحملة الصليبية الأولى، وهو ابن ثيبالد الثانى، وقد توفى عام 1191مم587هـ، على ارجح الآراء، انظر : وليام الصورى: المصدر السابق، ج2، ص 956، 960 ؛ وكذلك حسين عطية : دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية، الإسكندرية، 2002، ص 290 0

([3]) ابن شداد : النواد السلطانية والمحاسن اليوسفية، دار الفرجانى للتراث، القاهرة،1988، ص 113–114، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، 12 جزء، بيروت، 1982 ، ج11، ص 544، 553 0 وأيضا : Ernoul, op.cit, pp.179-183.، وانظر أيضا: عبدالحفيظ محمد على : المرجع السابق ص154 .

([1]) المؤرخ المجهول للحملة الثالثة،ص 177 0 وانظر أيضا رنسيمان : المرجع السابق، ج 3، ص 68 0

بالمديح كما عبر عن ذلك المؤرخ المجهول للحملة الثالثة [84]، وهى أمور إن دلت على شيئ فإنها تدل على أن شعور الاستغاثة والرغبة فى الحصول على المساعدات كانت لا تزال حية فى نفوس الفرنج البلديين رغم التطورات والتغيرات التى طرأت على العلاقة بين الطرفين، وكان تزداد بصفة خاصة أيام المحن 0

ورغم كل تلك المساعدات التى أشرنا إليها من قبل القادمين الجدد للفرنج البلديين، إلا ان الكثير ممن قدموا للمساعدة كان قدومهم مخيباً للآمال، ولم يحقق الطموحات المرجوة منه، وكان عاملاً من العوامل التى أدت إلى صعوبة أوضاع الفرنج المستوطنين وتفاقمها، والأمثلة أيضا على هذا النوع السلبى من القادمين كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

فى عام 1172م/568هـ قدم إلى بيت المقدس هنرى الأسد Henary the Lion دوق سكسونيا وبافاريا، وحفيد الإمبراطور لوثير، وصهر هنرى الثانى ملك إنجلترا0 غير أنه رفض أن يقاتل من أجل الصليبيين وأعلن أنه لم يأت إلا للحج 0 لذا فلم يكد ينتهى من حجه حتى ارتحل عائداً إلى المانيا [85]0

وفى عام 1177م/573هـ هبط فى عكا فيليب كونت فلاندر Philippe De Flandres مع عدد كبير من أتباعه وكان الفرنج المستوطنين يأملون من قدومه تحقيق أشياء كثيرة، فعندما قدم جاءه أربعة سفراء من قبل الإمبراطور يعرضون عليه المال اللازم للقيام بحملة ضد مصر 0 ووصل كذلك أسطول مكون من سبعين سفينة فى أثر السفراء وهنا هرع ملك بيت المقدس إلى فيليب يطلب منه قيادة الحملة إلى مصر، لكن فيليب أظهر التردد، ولم يتخذ موقفاً حاسماً، إذ أشار أول الأمر إلى أنه

([2]) يقول المؤرخ المجهول معبراً عن فرح الناس بريتشارد "كان البعض ينشدون أغانيهم القومية الشعبية، وغيرهم يقصون ملاحم الأبطال القدماء كأنما يفعلون ذلك لحمل الناس على تقليدهم" 0 انظر : المؤرخ المجهول للحملة الثالثة : المصدر السابق، ج 2، ص 11–12 ؛ أما ابن الأثير فقال: "عظم به شر الفرنج، واشتدت نكايتهم فى المسلمين، وكان رجل زمانه شجاعة ومكراً وجلداً وصبراً، وبلى المسلمون منه بالداهية التى لا مثل لها"0 انظر : ابن الأثير : الكامل، ج12، ص 65

([1]) رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 635 0

لم يأت إلا للحج، ثم قال انه ليس بوسعه أن يضطلع بهذه المسئولية الصعبة 0 وهنا عرض عليه الملك أن يشاركه رينو دو شاتيون، إلا أنه رفض متعللاً بسوء سلوك رينو، فلما جرى إخباره بأن الأسطول البيزنطى على استعداد للتعاون معه، اكتفى بالقول : "لماذا يلتزم بما يبذله البيزنطيون من مساعدة"، ثم أفصح آخر الأمر أنه لم يقصد بقدومه إلى فلسطين سوى أن يزوج ابنتى عمه الأميرتين سبيلا وإيزابيلا من ولدى روبرت بيثون Robert Bethon أقرب أتباعه إليه واكثرهم حظوة عنده0 والواقع أن هذا التصرف لم يكن بوسع بارونات الشرق تحمله، فتقدم أحدهم وهو بلدوين سيد الرملة وبينه Baldwin De Rama وأهانه إهانات بالغة، فاستشاط غضباً وتجهز للرحيل مرة أخرى[86]0

يتكرر نفس الموقف المتخاذل السابق فى عام 1179م/575هـ عندما قدم إلى فلسطين جماعة كبيرة من الفرنسيين بقيادة هنرى الثانى كونت شمبانى Henri II Champagne، وبطرس كونت كورتيناى Pierre De Courtenay، وفيليب أسقف

([2]) ارتاع سفراء الإمبراطور البيزنطى لما حدث من مناقشة حادة بين الفرنج وبالتالى فلم يكن هناك من وجهة نظرهم ما يدعو للاستمرار فى الحملة المزمع القيام بها إلى مصر، وانتظر السفراء نحو شهر، ثم أبحروا إلى سيدهم ممتعضين ليخبروه بما شهدوه من وقاحة الفرنج المتأصلة..للمزيد انظر : وليم الصورى : المصدر السابق، ج 2، ص 989–992، ويظهر وليام حزينا فى روايته لأنه كان مسئولاً عن التحالف بين الصليبيين والبيزنطيين، واتهم روبرت بيثون =بأنه السبب الرئيسى فى التأثير على فيليب لفشل هذا التحالف 0 انظر كذلك:.Ernoul,op.cit,p.33 أما بخصوص الحوار الذى دار بين بلدوين سيد الرملة وفيليب دو فلاندر فانظر الملحق الخاص بذلك فى نهاية البحث، ص 75–76 ، انظر أيضا : كاهن: المرجع السابق، ص 132–133، رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 668–670، عبد الحفيظ محمد على : المرجع السابق، ص 115–117 0 ورغم كل تلك الأمور فقد ساهم فيليب مساهمة رمزية فى منازلة حماة وحمص فى اكتوبر 1177م/573هـ بالمشاركة مع كونت طرابلس، ثم توجه إلى أنطاكية طالبا بذل المساعدة لأميرها فى شن هجوم على حارم، لكنهما لم يحققا شيئا يذكر، فرفعا الحصار عنها، وعاد فيليب إلى القدس ليقضى عيد القيامة ثم استقل سفينة من اللاذقية إلى القسطنطينية 0 انظر وليام الصورى : المصدر السابق، ج 2، ص 996–997 ، ابن الأثير، الكامل، ج11، ص 444 0

بوفيه Philippe De Beauvais، حيث كان صلاح الدين يهاجم ساعة وصولهم مخاضة يعقوب واستطاع فى غضون أربعة أيام أن ينقب أسوار القلعة وينفذ إلى داخلها ، فلقى المدافعون عنها مصرعهم، وتم تدمير القلعة حتى سويت بالأرض، ولم يشأ الزائرون بذل أى مساعدة للفرنج المستوطنين هناك، ولم يكن لهم شيئ من النفع والفائدة، وعادوا إلى بلادهم بدم بارد[87]0

وقريب مما سبق ما حدث من جماعة مجريين إبان الحملة الهنغارية عام 1218م/615هـ، دبروا القيام بغارة فى البقاع، دون أن يحفلوا بنصائح الفرنج المحليين، ودون الحصول على موافقة الملك، وكادوا يهلكون جميعهم فى عاصفة ثلجية عند اجتياز جبال لبنان[88]0

نكتفى بهذه الأمثلة من المساعدات الإيجابية، وكذلك المساعدات والتحركات التى لم تحقق شيئا ذو قيمة بل كانت سلبية – كما أوضحنا – وهى أمور أفادت الفرنج المستوطنين فى البداية كثيرا، لكنها صارت أحيانا فى النهاية عديمة القيمة ودون جدوى، مما خلق شعوراً بعدم الرضا من هؤلاء القادمين وما آثاره بعضهم من مشاكل وأزمات ستتفاقم وتؤدى إلى زيادة الشقة واتساع الهوة بين الفريقين، ومن هنا ننقل الحديث إلى أعقد وأبرز الأزمات التى تسبب فيها بشكل واضح القادمين الجدد من ناحية، وكذلك الاختلاف والتباين والتحاسد بينهم وبين الفرنج المستوطنين من ناحية أخرى0

---

(2) وليم الصورى : المصدر السابق، ج 2، ص 1014، حيث عزا عدم مشاركة القادمين الجدد المشار إليهم إلى حالة الارتباك التى أصابت الصليبيين، ثم مفاجأة صلاح الدين لهم وزيادة قوته، إضافة إلى توالى الكوارث على الصليبيين، ثم غرق فى تصورات دينية اخرى لا علاقة لها بما حدث، انظر كذلك عن هذه الأحداث، ابن الأثير، الكامل، ج11، ص 456–57 0

وأيضا : رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 671–679 0

([1]) رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 265 0

يمكن تقسيم الأزمات التى مرت بها المملكة الصليبية إلى أزمات ترتب عليها نتائج وتداعيات خطيرة على مستقبل الصليبيين عامة، وعلى العلاقة بين الفريقين بصفة خاصة، وأزمات أخرى كان لها بعض الآثار المؤقتة التى أمكن تلافيها 0

بالنسبة للأزمات الخطيرة التى كان لها تداعيات كادت تعصف بالمملكة، سنحصرها فى أزمتين خطيرتين هما : فشل الحملة الصليبية الثانية (1147-1148م/542-543هـ)، ومعركة حطين 1187م/583هـ0

الواقع ان الحملة الصليبية الثانية التى خرجت من أوربا انعقدت عليها آمال بالغة الروعة، ولم لا فقد وضع خطتها البابا، ودعى إليها وأوحى بها القديس برنارد St.Bernard بما اشتهر به من فصاحة، وقادها اعظم ملكين فى أوربا آنذاك، وكانت تبشر بمجد تليد للعالم المسيحى فى ذلك الوقت (89)، فماذا حدث بالضبط؛ ولماذا فشلت فشلاً ذريعاً، أو بالأحرى من المسئول عن هذا الفشل؟ هل هم الرجال القادمون من الغرب أم البارونات المحليين؟ وما هى النتائج الخطيرة التى ترتبت على فشل هذه الحملة؟ وكيف أثرت على طبيعة العلاقات فى المستقبل بين حزبى القادمين الجدد، والفرنج المستوطنين؟ تساؤلات تحتاج إلى إجابة، فلنبدأ إذا خطوة بخطوة لنصل إلى حقيقة ما حدث على وجه الدقة0

بالنسبة بداية للاجتماع الذى تم بين رجال الغرب القادمين مع الملك، ورجال المملكة من البارونات المحليين، فقد عقد هذا الاجتماع فى 24 يونيو 1248م/543هـ، وكانت قد دعت إليه الملكة ميلسند وابنها بلدوين الثالث، وحضره بعض البارونات المحليين والملك الفرنسى لويس السابع وكنراد الثانى ملك المانيا وبعض النبلاء الأقل مرتبة معهما (90)0 ولا نعلم على وجه الدقة حقيقة المناقشات التى دارت فى هذا الاجتماع، ولكن فى لحظة من لحظات الغباء السياسى والحماقة المطلقة قرر المجتمعون مهاجمة مدينة دمشق واحتلالها، رغم العلاقات الحميمة التى ربطت بين حكامها وملوك بيت المقدس الصليبيين، فضلا عن الخدمات الجليلة التى

([2]) رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 463 0

([1])لمزيد من المعلومات حول أسماء الحاضرين وألقابهم0انظر وليم الصورى :المصدر السابق،ج2

قدمها ملوك دمشق البوريين إلى المملكة مما منعها من الارتماء فى أحضان نور الدين محمود[91] 0

بعد ذلك بدأ الزحف على دمشق فى 25 مايو 1148م عبر طبرية ثم جبال لبنان القائمة بين بانياس ودمشق، ثم نزلوا قرية داريا التى تبعد عن المدينة مسافة أربعة أميال أو خمسة، وكان من السهل من هذا المكان رؤية مدينة دمشق والمنبسطات المحيطة بها[92] 0

ما يهم أنه رغم اشتداد أوار القتال بين الصليبيين والمسلمين إلا أن النتيجة النهائية كانت فشل ذريع للصليبيين فى تحقيق ما أرادوا، وسبب ذلك استبسال اهالى دمشق فى الدفاع عن مدينتهم، والنجدات التى وصلتهم من الخارج وخاصة من نور الدين محمود، بالإضافة إلى مشاكل الصليبيين الكثيرة، والانقسامات التى دبت فيما بينهم أمام دمشق، مما اضطرهم فى نهاية الأمر إلى الإنسحاب لا يلوون على شيئ[93] 0

([2]) يرى المؤرخ ماير أن هذا الغباء السياسى له ما يبرره، لأن سقوط الرها 1144–1146م/539–541هـ، أدى إلى غياب بارونية الشمال، ولم يكن هناك من يعمل بحزم من أجل القيام بحملة إلى حلب، أما دمشق فكانت الهدف الأخير الذى يجدر التفكير به، وذلك التبرير يكمله المؤرخ رنسيمان بقوله، إن دمشق جرى تبجيلها فى الكتاب المقدس، ولذا فإن استردادها من أيدى المسلمين سيرد مجد المسيح فى سائر الأنحاء، كما ان حلب لم تكن لها أهمية لدى القادمين الجدد من الغرب، بينما كان صليبيوا بيت المقدس يطمعون فى الحصول على البلاد الخصيبة التى تدين بالولاء والتبعية لدمشق. ومن هنا وجبت الإشارة إلى أن كلا الطرفين مسئول عن اتخاذ هذا القرار الخطير، ومن هنا فلا لوم على جانب دون آخر، انظر : ماير : المرجع السابق، ص 156، رنسيمان : المرجع السابق، ج 2، ص 453؛ ويلاحظ على هذا الاجتماع عدم حضور ممثلين يمثلون أنطاكية والرها وطرابلس، وهى الإمارات التى كانت مهددة تهديداً مباشراً من قبل نور الدين محمود، والتى رأى أمراؤها أنه من العبث تبديد قواهم من أجل تحقيق مطامع ثانوية لمملكة بيت المقدس 0 انظر: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، القاهرة، 1986مج1، ص 492 0

(1) وليم الصورى : المصدر السابق، ج2، ص 779 0

(2) اقتنع بارونات فلسطين بعد فوات الأوان بأنه من الحماقة الاستمرار فى مهاجمة دمشق، وفرضوا أراءهم على الملك لويس والملك كنراد، بينما تأكد رجالات الغرب أنه لا أمل فى تحقيق

وللتعرف على الأسباب الحقيقية التى أدت إلى فشل هذه الحملة الضخمة، ومدى ارتباط هذه الأسباب بالعلاقات بين الطرفين فرنج الشام، والقادمين الجدد نلاحظ أن أول هذه الأسباب خطا عسكرى فادح تمثل فى تحرك الجيش الصليبى إلى السهل الواقع خارج السور الشرقى لدمشق، وهذا التحرك كان قراراً بالغ الخطورة لأن هذا الموضع افتقر إلى الماء، كما أنه واجه أمتن وأقوى قطاع فى السور، وتوافر لجماعات الدماشقة الحرية الكافية لأن ينطلقوا حول البساتين، وهكذا صار الجيش الصليبى محاصراً، وفى موضع الدفاع[94]0

ثانى هذه الأسباب، هو التباين الواضح فى المصالح، وتضارب المطامع والأهداف من كل الأطراف المشاركة من الجانب الصليبى 0 فقد كان بارونات الشرق الفرنجى يأملون أن تكون دمشق مجرد إقطاع تابع للمملكة، واتفقوا على أن يكون جى بريزبار Guy Bresebarre سيد بيروت هو سيد هذا الإقطاع؛ أما وليام الصورى فقد أشار إلى أطماع ثييرى كونت فلاندر ورغبته فى أن يحوز دمشق إقطاعاً مستقلاً على مثال إقطاع طرابلس، وقد حظى بالفعل بتأييد كنراد ولويس، والملك بلدوين الثالث لأنه زوج أخته غير الشقيقة[95]0

شيئ يذكر إلا بمساعدة الفرنج المحليين، بينما كل ما فعله الملكان أنهما جأرا بالشكوى لما اكتشفاه من خيانة، وافتقار حماس القوات للقضية، فكان أمرهما بالارتداد عن دمشق 0 ولقد اشار المؤرخ ابن واصل إلى أن أنر أرسل رسالة تهديد للصليبيين المحاصرين لدمشق، والغريب فى الأمر أن الرسالة كان يتضح بها التفرقة بين الفرنج الغرباء أى الوافدين الجدد، وبين الصليبيين القدامى المستقرين .. للمزيد انظر : ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، القاهرة، 1972–1973، ج 1، ص 113، ابن القلانسى : المصدر السابق، ص 299، وانظر أيضا،رنسيمان:المرجع السابق، ج2، ص 457، سعيد عاشور : المرجع السابق، ج1،ص 490

(1) ابن القلانسى : المرجع السابق، نفس الصفحة، رنسيمان : المرجع السابق، ج2،ص 454

(2) كان ثييرى متزوجاً من سيبيل إبنه الملك فولك، والأخت غير الشقيقة لبلدوين الثالث، وتبعاً للمصادر فقد دخلت الدير أخيراً، وهذه التهمة التى وجهها وليم إلى ثييرى لا يوجد أساس واضح لها، لكنها تحمل فى طياتها حالة الشك والتريب التى حملها نبلاء الشرق تجاه نبلاء الغرب، انظر ، وليم الصورى : المصدر السابق، ج 2،ص 786–787، ولقد أشار رنسيمان إلى أن البارونات المحليين

كذلك فإن أمير أنطاكية استخدم نفوذه كى يتسبب فى إخفاق المشروع؛ لأنه كان غاضباً ومغتاظاً لتخلى الملك لويس عنه، ورفضه تقديم أى مساعدة له بأى شكل من الأشكال؛ ولذا مارس ضغطه على بعض النبلاء لإفشال المشروع وإرجاع لويس خالى الوفاض[96]0 أما الملكة ميلسند، فقد دبرت هى الأخرى المؤمرات لإفشال هذا المشروع، حيث كانت تعارض حصار المدينة والاستيلاء عليها، لأنها كانت فى صراع على السلطة مع ابنها بلدوين، وكان من مصلحتها عدم نجاح الصليبيين فى السيطرة على دمشق، لأن هذا معناه نجاح لبلدوين وبالتالى سيصبح بعده الحاكم الحقيقى للبلاد على أساس مشاركته شخصيا فى الحملة [97]0ولم يكن التباين فى المصالح وظهور المطامع فقط هو سبب الفشل، بل كان هناك تباين كذلك فى العادات والتقاليد، ونظرة الفرنج بالشرق لبنى عمومتهم القادمين من الغرب والعكس، إذ صدم صليبيوا الحملة الثانية القادمون حديثاً ما اكتشفوه فى فلسطين من قيام مجتمع غير أفراده فى جيل واحد أسلوب حياتهم، وصاروا يتحدثون بالفرنسية وحكومتهم تصير على التقاليد الإقطاعية، رغم وفائهم للكنيسة اللاتينية فازداد القادمون حيرة وشك جعلتهم يلجأون إلى اتهام الفرنج المستوطنين بالخيانة ومراسلة معين الدين أنر الدمشقى[98]، بل والحصول على الرشوة التى جعلتهم ينصحون القادمين بأشياء

عندما علموا أن الملك يصانع ثيرى اشتد غضبهم ونزحوا إلى التواكل فى بذل الجهد. انظر : رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 455

(3) وليم الصورى : المصدر السابق، ج 2، نفس الصفحات، انظر أيضا : سعيد عاشور : المرجع السابق، ج1، ص 492 0

(1) عبد الحفيظ محمد على : المرجع السابق، ص 43 ، ماير: المرجع السابق، ص 157، والواقع أن قادة الحملة كما يقول رنسيمان يعتبرون المسئولين عن فشلها لما وقع بينهم من خصام ولجهلهم وحماقتهم التى لا جدوى منها، انظر رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 463 0

(2) معين الدين أنر مملوك لطغتكين أظهر مهارة فى تصدى دمشق لمحاولات عماد الدين زنكى ضمها إلى جبهته المتحدة ضد الصليبيين، ووصل به الأمر للتحالف مع الصليبيين ضد زنكى بعد أن خوفهم من أنه إذا ملك دمشق يملك بيت المقدس، ولا يترك لهم بالساحل مقام، للتفاصيل انظر:

أضرتهم عسكريا أثناء القتال؛ كما أنهم تواكلوا وفتر حماسهم للقتال حفاظا على مصالحهم وعلاقتهم القوية بحكام دمشق[99] 0

إلى جانب ذلك يمكننا ذكر بعض الأسباب التى تبدو واقعية أكثر، منها على سبيل المثال: أن تعداد الجيش الصليبى لم يكن كبيراً بسبب من فقد حياته فى آسيا الصغرى أو تخلف فى أنطاكية وسواها؛ كذلك إشارة ابن القلانسى إلى ازدياد قوة جيش دمشق بفضل النجدات التى حصل عليها من الموصل وحلب وحوران وبعلبك[100] 0وهناك سبب آخر يتمثل فى عدم مناسبة مكان القتال لمناورات الصليبيين الذين كانوا يجيدون القتال فى الأماكن المكشوفة فقط، وليس بين البساتين [101] 0

ونتج عن هذا الفشل أن الحملة : فقدت عدداً كبيراً من رجالها، وقدراً كبيراً من عتادها، وتعرضت لهوان شديد، وبددت نهائياً أسطورة فرسان الغرب الذين لا يقهرون

ابن القلانسى : المصدر السابق، ص 272، وانظر أيضا : محمد مرسى الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها 1097/1144، الإسكندرية 1974، ص 362 0

(3) تبدو تهمة الرشوة والأموال المزيفة تهمة مبالغ فيها ومختلقة، وقد حاول بعض الرواة إلصاقها بإيلىناندوس Ily Nandos صاحب طبرية على أنه هو الشخص المتهم، وأنه تسلم مبلغ 50 ألف دينار ذهبى من أهل دمشق، ثم اكتشف أنها مزيفة.. وإن كان وليم الصورى قد اكتفى بعرض الرواية دون أن يذكر اسم المتهم فيها. انظر، وليام الصورى : المصدر السابق، ج 2، نفس الصفحات؛ اما ابن العبرى فيقول أنه لم يعثر لهذه القصة عن أثر فى المصادر العربية، حيث قال : طالعت خمس كتب عربية، فلم أعثر فيها على حكاية التزييف هذه، غير أن البطريرك ميخائيل المغبوط ذكرها فى تاريخه0 انظر : ابن العبرى : تاريخ الزمان، نقله إلى العربية الأب اسحق أرمله، قدم له الأب الدكتور جان موريس فنييه، بيروت، 1996، ص 163 0انظر أيضا : رنسيمان : المرجع السابق، ج 2، ص 456–468، انتونى بردج : المرجع السابق، ص 156 0

(1) ابن القلانسى : المصدر السابق، ص 297–298 0

(2) وليم الصورى : المصدر السابق، ج2، ص 787، حـ2، ولقد أشار أحد المؤرخين المحدثين إلى أن اليانور زوجة الملك لويس ليست مسئولة عن كارثة دمشق، ولا هى مسئولة عن كامل التدمير الذى حاق بالجيش الصليبى بصفة عامة، انظر :

Walker, C.H., Eleanor of Aquitaine and the Cadmos mountain on the Second Crusade, in A.H.R., 1949-1950, p.861.

التى نمت وترعرعت فى الحرب الصليبية الأولى [102]؛ كما أن هذا الفشل جعل الغرب يسيئ الظن بالحركة الصليبية، ويسئ الظن بالامبراطورية البيزنطية ويتهمها بخيانة الحركة الصليبية، وهو إحساس بدت ملامحه مع اقتراب وصول الحملة الشعبية بالقرب من أسوار القسطنطينية وسيظل يتفاقم ويتعاظم يوماً بعد يوم إلى أن تحدث الحملة الصليبية الرابعة وما ترتب عليها [103]0 إضافة إلى ما سبق فقد ضاعت سدى جهود سيجر أو سوجر Soger وبرنارد فى إعداد حملة صليبية جديدة عام 1150م/545هـ، خاصة مع إنخفاض الروح المعنوية العامة للصليبيين [104]0 وبذلك أصبح الطريق مفتوحاً ليواصل نور الدين محمود انتصاراته اللاحقة، مما أنعش آمال العالم الإسلامى عامة[105]0

والأهم من هذا وذاك، فإن هذه الحملة بذرت بذور الشك بين الصليبيين القادمين حديثاً من الغرب، وبين الفرنج النازلين بالشرق مما ساعد على زيادة شقة الخلاف واشتعال الأزمة بين الطرفين وسيتعرض الكيان الصليبى لأحداث جارفة تعصف به فى مياه البحر المتوسط، وتطوى صفحته من سجلات التاريخ الوسيط 0

نأتى لثانى وأهم وأخطر الأزمات التى تسبب فيها سوء العلاقة بين الطرفين والخلافات والتحزبات التى أصبحت أكثر وضوحاً، وأكثر خطراً على الكيان الصليبى بكامله، أزمة معركة حطين سواء فى الفترة التى سبقت حدوث المعركة، أو أثناء القتال، أو حتى بعد انتهاء المعركة بهزيمة مروعة للصليبيين 0

---

(3) رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 458، 463 0

(4) نفس المرجع ، ج1، ص 463 0

([1]) باركر : المرجع السابق، ص 77 0

Constable, G.: The Crusading project of 1150, in , V.R., 1979, p.70.

([2]) كاهن : المرجع السابق، ص 138، رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص458 0

كانت أحداث الخلاف والتحزب التى سبقت حطين تتمحور حول ثلاث قضايا هى : قضية الوصاية على المملكة؛ وقضية اختيار خليفة للملك؛ وأخيراً قضية زواج الأميرة سيبيل[106]0

بخصوص مسألة الوصاية أشارت المصادر إلى أنه كان هناك شبه اتفاق على أن يتولاها ريموند كونت طرابلس Raymond Conte Tripoli (1152–1187م/547–583هـ)، لذا وقف جميع بارونات المملكة فى البداية ضد ميلون دو بلانسى Milon de Plancy الذى كان يمارس اعمال الوصاية، ونشبت بينه وبينهم عداوة خطيرة، باعتباره أحد القادمين الجدد، إذ حسدوه على سلطته، ولم يتحملوا حقيقة أنهم يمكن تجاهلهم، خاصة وقد أقدم هو على إبعادهم عن الملك، وتصرف معهم بجرأة ووقاحة، وكان متعجرفاً متكبراً ثملاً بالعبارات الطنانة التى ترضى نفسيته وطموحه، وكان يميل إلى استخدام الحسد مع أعدائه ومنافسيه[107]0

فيما يتعلق بوصاية ريموند فقد كان لها أسبابها الكثيرة، نذكر منها اعتقاد الملك بلدوين الرابع Baldwin IV (1174–1185م/570–581هـ) بأن ريموند هو أصلح من يتولى الوصاية، ومن بعدها يكون أحق بالتاج لأن به صفات لا تتوافر

---

(3) Mayer, op.cit,p.161.

(1) وليم الصورى : المصدر السابق، ج2، ص 974–975, Ernoul, op.cit., pp.115-119، وكذلك ابن الأثير : الكامل، ج11، ص 531–532، ولقد أشارت معظم الكتابات إلى ان ميلون دى بلانسى قد طعنه شخص مجهول وهو يسير فى شوارع عكا طعنة أودت بحياته، وكان هناك اختلاف فى سبب مقتله فقد ذكر البعض أنه كان يعد العدة للاستيلاء على مملكة بيت المقدس، وأنه ارسل يطلب المساعدة من ملك فرنسا، وأشار آخرون إلى أن قتل بسبب عجرفته وتكبره على النبلاء المحليين بينما اشار فريق ثالث إلى أنه قتل لإخلاصه الشديد للملك، وإن كانت معظم الكتابات تتفق أكثر على سوء أسلوبه فى معاملة النبلاء، وقربه الشديد من الملك الذى لم يكن يرفض له طلب، وكالعادة لاذ وليام الصورى بالصمت ولم يمدنا بالمعلومات التى تفيد فى معرفة القاتل، وهل جرت محاكمته، ودوافع ارتكاب الجريمة وغيرها من الأمور. للمزيد انظر :
La Mont, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100-1291, new York, 1970,pp.26-27.

لأحد غيره فى المملكة، إضافة إلى أنه أدنى الناس قرابة للملك، وأقرب الناس أن يكون وريثه[108]، والحقيقة أن ريموند كان رجلا ذا خبرة سياسية وحنكة حربية، إذ ولد وتربى فى الشرق، وعرف أساليب المسلمين فتأثرت شخصيته بهم، وكان يجيد التعامل معهم دون اللجوء إلى استخدام القوة كما كان يفعل الصليبيون الأوائل [109]، يضاف إلى ذلك حساسية الملك بلدوين الرابع الشديدة تجاه أى قادم غريب يستولى على مملكة بيت المقدس دون موافقة إجماعية[110]0

والحقيقة أن طموحات ريموند كانت ستقوده حتماً إلى لبس التاج بعد ذلك، كما أن كل المعاصرين له كانوا قد وصلوا إلى نفس النتيجة تقريباً [111]0 لكن رغم ذلك كانت هناك مؤامرات تحاك ضد ريموند يقودها أفراد معادين له على رأسهم أجنيس دى كورتيناى Agnes De Courtenay وأخيها جوسلين، لدرجة أنهما أقنعا الملك أن ريموند يتآمر على العرش 0 ولم تهدا ثائرة الملك إلا بعد احتجاجات عنيفة من قبل بارونات المملكة، فقبل كارهاً أن يرى ريموند الذى أقنعه ببراءته [112]0

---

(2) ذيل وليم الصورى : ص 21–22 0

(3) محمد مؤنس عوض : المرجع السابق، ص 206 0 وكان ريموند قد قام بأعباء الوصاية على الملك منذ عام 1174م، انظر : ماير : المرجع السابق، ص 188 0

(4) ذيل وليم الصورى : المرجع السابق، ص 22–23، وانظر أيضا :رنسيمان :المرجع السابق، ج2، ص 716–718 0

([1]) يرفض المؤرخ سميل الثوابت التاريخية، فهوي يرى أن ريموند لم يكن بتلك الصورة البراقة التى أوردتها مصادر القرن الثانى عشر، أو حتى كتابات المؤرخين المحدثين فى القرن العشرين، وإنما كانت له نقائصه وعيوبه التى أدت إلى انشقاق المملكة وحدوث ما حدث، ولذا فقد كان عديم الضمير فى خصومته لجى لوزينان، وكان مهندس العملية التى حاولت الإطاحة بجى عام 1183م/579هـ، ثم أنه أظهر حماقة أكبر عندما قاد تمرداً ضد جى بعد تتويجه عام 1186م/582هـ، وكانت علاقته بصلاح الدين موضع شك فى شخصيته وخيانته التى سمح من خلالها لقوات المسلمين بدخول طبرية. للمزيد انظر : Smail, op.cit, pp.174-175.

([2]) اقتنع الملك تماما ببراءة ريموند وأصبح يثق فى حكمته وشهامته وعهد إليه بإدارة المملكة كلها وبدا هذا العمل مرضيا كما يقول وليم الصورى لرغبات جميع الناس، ولأغلبية النبلاء، لأنه كان واضحا للعيان أن طريق السلامة الوحيد قائم على وضع أمور المملكة فى يد كونت طرابلس...

وهكذا أثبت البارونات ولاءهم لريموند الذى صار زعيماً لحزبهم الذى يحلو للبعض تسميته بحزب "الأسر العريقة" ومن أفراده همفرى الثانى صاحب تيورون Humphrey II De Toron ، ورئيس الحرس، وأسرة ابلين، ورينو سيد صيدا Renaud de Sidon المثقف الذى يتكلم العربية، ووليام الصورى الذى عهد إليه ريموند بديوان المملكة عام 1174م/570هـ، ثم بأسقفية صور عام 1175م/571هـ، بينما كان هناك حزب آخر منافس بل معادى لهذا الحرب كان تكوينه أكثر تعقيداً، سيطر عليه القادمين الجدد الذين كانوا يطمعون بالمغامرات فى الحصول على الأملاك والذين تشابهوا إلى من جاء إلى الأراضى المقدسة من الجيل الأول بعنفهم وتعصبهم ضد المسلمين، وكان من أبرز زعماء هذا الحزب رينو دو شاتيون، والأخويين جى وإيمرى لوزنيان، وكذلك جوسلين وأخته أجنيس دى كورتيناى وانضم إلى هذا الحزب أخيراً مقدم الداوية جيرار دو ريدفور Gerard De Redfort بسبب حقده الشخصى الدفين على ريموند[113]0

نجح حزب القادمون الجدد فى وضع جى لوزنيان فى طريق سيبيل شقيقة الملك فتزوج منها [114]، ومن هنا أخذ جى على عاتقه مهمة إحباط كل التطلعات

والواقع أن وليم رأى أن هذا منطقى جدا، فهو من أعز أصدقاء ريموند المدافعين عنه ..انظر وليم الصورى : المصدر السابق، ج2، ص 1076 0

([1]) كان حقد ريدفورت على ريموند بسبب حرمان الأخير له من الزواج من إحدى الوريثات وهى ابنه ووريثه جيوم دورى Guillaume Dorel الذى كان فصلا تابعا لريموند وأمير البترون Batron الواقعة جنوب طرابلس، وقديما كانت تسمى بتروس Batrus وكان ريموند قد وعده بتزويجه من تلك السيدة ثم خلف وعده بعد ذلك وزوجها من أحد أثرياء التجار البيازنة واسمه بليفان، ويقال أنه دفع قدر وزنها ذهبا، وعندما رأى جيرارد فشل آماله فى الزواج منها، انتابه غضب بالغ، فتوجه إلى كنيسة الضريح المقدس، وتوسل إلى الله أن ينتقم من كونت طرابلس لفعلته هذه . للمزيد انظر : Ernoul, op.cit,p.114.وانظر أيضا، ماير : المرجع السابق، ص 191، براور : المرجع السابق، ص 338

([2]) أشار وليم الصورى إلى أن الملك بلدوين الرابع كان متسرعا فى قبول جى لوزنيان زوجا لشقيقته سيبيل وأشار أيضا إلى أنه رغم أصل جى الذى لا باس به، إلا ان الملك كان بإمكانه العثور على نبلاء ذوى أهمية وحكمة، بل حتى أكبر ثروة بكثير من الأجانب، حيث أن الزواج من أى منهم له منافع اكبر بكثير للمملكة، انظر وليم الصورى : المصدر السابق، ج 2، ص 1016 0 ولقد اشار رنسيمان نقلا عن بنيدكت إلى أن

والطموحات فى كل زمان ومكان ظهرت فيه، إذ أن زواجه منحه اكبر فرصة ليصبح الملك القادم لمملكة بيت المقدس؛ ففى عام 1183م/579هـ صار وصياً على العرش، ورغم ذلك فإن الملك بلدوين الرابع قبل وفاته كان قد أوصى بألا تكون الوصاية له أبدا، وإنما تكون لريموند على الملك الطفل بلدوين الخامس، لأنه أحق بها من سواه، وطالب رجاله بالوفاء بهذا العهد بعد وفاته0 لكن جوسلين نجح بخبث فى إبعاد ريموند عن بؤرة الأحداث وأعلن سبيل ملكة، خاصة بعد وفاة الملك الطفل بلدوين الخامس 1186م/582هـ، وبعد ذلك توجت سبيل زوجها جى لوزنيان، وهنا أسقط فى يد ريموند والبارونات المجتمعين فى نابلس ولم يستطيعوا فعل شيئ يذكر [115]0

سيبيل اتخذت من جى عشيقاً لها خاصة بعد أن اكتشفت فيه من الوسامة والجمال ما سبق أن علمت به، ولما اكتشف الملك بلدوين هذا الأمر أراد أن يأمر بإعدام جى، غير أنه بناءً على طلب الداوية وأمام إصرار أخته على الزواج من هذا الشخص – الذى كان الملك والنبلاء يعتبرونه ضعيفاً أحمقاً – أبقى الملك على حياته ووافق على زواجه من سيبيل. انظر، رنسيمان، المرجع السابق، ج 2، ص 6850 يصر سميل Smail, op.cit,pp.161-162. على الدفاع عن جى لوزنيان ويقول أن منافسيه وخصومه الحاقدين عليه بذلوا أقصى طاقتهم لحرمانه من الوصاية وإقصاءه عن سدة الحكم، وإبطال زواجه والنيل من سمعته، وأن هذه المهمة ساعدهم فيها وليام الصورى الذى لم يكتم مشاعر بغضه وكراهيته لعائلة كورتيناى وحلفائها، وكذلك إرنول ربيب أسرة إيلين الرافضة لزواج جى من سيبيل التى كان هناك وعد لتزويجها من بلدوين إيلين ولم يتحقق، للمزيد من التفاصيل حول هذه الأحداث، انظر: Ernoul, op.cit, pp.115-119. وأيضا فيترى؛ المصدر السابق، ص 148–150، وانظر كذلك، رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 716، 718، 722 0

([1]) قص صاحب ذيل وليم الصورى بالتفصيل قصة ذلك الاجتماع بين البارونات والحوارات التى دارت بينهم، فوجدنا أن بلدوين إيلين حاكم الرملة عندما سمع أن جى أصبح ملكاً قال : "أنه من الثابت الأكيد أن جى لن يبق ملكا عاماً واحداً"، ثم وجه كلامه إلى البارونات وكونت طرابلس قائلا "أيها السادة الأمجاد، عليكم الآن بذل غاية جهدكم، أما أنا فإنى ماض إلى حيث اعتكف فلا القى أحد ولا يلقانى أحد لأننى لم اعد أتحمل الملامة أو التأنيب فى أننى كنت حاضراً وقت ضياع المملكة، لما أعلمه علم اليقين من أن هذا الرجل الذى صار اليوم ملكاً ما هو إلا سفيه غبى، وإنه لن يستجيب قط إلى أى نصيحة أزجيها له، ولا إلى ما تنصحونه به، بل سوف يسلك سبيل الخطأ فيستمع إلى مشورة الجهال، ومن أجل ذلك فإنى تارك الأرض ومغادرها" 0 بعد ذلك أشار ذيل وليم إلى اتفاق البارونات على أن يقوموا بتتويج همفرى الخامس دى تيرون وزوجته إيزابيلا رداً على

بعد اختيار جى لوزينان ملكاً على مملكة بيت المقدس الصليبية، عقدت أول جمعية للبارونات وبالطبع لم يظهر ريموند، وعلى الفور بدا جى تصفية الحسابات، فأعلن نزع بيروت من ريموند، وهى التى كان قد حازها باعتباره وصياً، وأرسل إليه إخطاراً بأن يقدم حساباته عن الأموال العامة التى أنفقها أثناء ولايته، كما طلب حضور بلدوين إبلين سيد الرملة فحضر، وأدى تحية شكلية للملك تاركاً إقطاعه لابنه توماس من بعده أما هو فقد هاجر إلى أنطاكية ودخل فى خدمة بوهمند اميرها، الذى لاقاه بالترحاب، وجعل له إقطاعاً تزيد مساحته عن الإقطاع الذى تخلى عنه، كما لحق به فى أنطاكية سادة آخرين يقلون عنه مكانة ويرفضون حكم جى (116)0

تتويج جى، لكن همفرى بعد اتفاقهم تسلل متخفياً وذهب إلى الملكة والملك واعتذر لهم، وهنا وقع البارونات فى حيص بيص وسألوه النصيحة فأشار لهم بأن عليهم الالتزام بالعهد الذى تعاهدوا به مع الملك الأبرص.. وبعد مشاورات قال البارونات للكونت "مولانا .. إما وقد تم الاتفاق على إقامة ملك فى بيت المقدس، فإننا لا نستطيع أن نقف موقف المعارض، وإلا كنا موضع الاستهجان والمذمة، لذلك نلتمس منك ألا تظن بنا ظن السوء إن نحن قلنا لك أن تذهب إلى طبرية وتقيم بها، أما نحن فسوف نيمم وجهنا شطر بيت المقدس، إلى حيث يقيم الملك، ونقطع له يمين الولاء، وسوف نبذل لك العون ما وسعنا البذل ولصون شرفنا، وسنتدبر أن نرد لك كل ما أنفقته من مال من أجل بيروت التى منحك إياها الملك الأبرص"0 للمزيد انظر : ذيل وليم الصورى : المصدر السابق، ص 47–49 0

([1]) أشار صاحب ذيل وليم الصورى أيضا إلى ان بلدوين إبلين صاحب الرملة كان حروناً صعب المراس، فعندما حضر لمقابلة الملك نادى عليه ثلاث مرات وهو لا يجيب، وعند ذلك توجه إليه الملك قائلا "تقدم أيها الصديق الغالى إن كنت تريد قطع يمين الولاء والتبعية لى، وأعلن إلى هؤلاء السادة الأمجاد، ذوى الأصول الكريمة عن نيتك الطيبة" 0 فأجابه "إنه لم يسبق لأبى قط أن أعلن تبعيته لمن سبقوك، ومن ثم فلست أنا الآخر بمعلنها، ولكن عاهد إليك بإقطاعيتى حتى يبلغ ولدى توماسين Thomassin الموجود الآن سن الرشد،= =وحينذاك يأتى إليك مبايعاً، ويؤدى إليك ما ينبغى عليه اداؤه.. أما أنا فمغادر مملكتك فى مدى ثلاثة أيام 0 للمزيد انظر : ذيل وليام الصورى، ص 50–51 0 وانظر أيضاً .Ernoul, op.cit,pp.137-139

ويشير أحد المصادر إلى أن جى كان يريد إنزال الأذى ببلدوين إبلين ولم يمنعه عن ذلك إلا شرف أصله ونسبه0 انظر : Les Gestes des Chyprois, ed. R.H.C, Doc. Arm, Tome II, Paris,

هكذا انتصر حزب المغامرون والقادمون الجدد قليلى الخبرة فى وقت صعب للمملكة، وخرج أكثر الرجال خيرة مهزومين بائسين مثل ريموند وبلدوين إبلين، كما تسبب هذا الأمر فى اتساع الهوة بين الفريقين، كل ذلك والمملكة فى طريقها إلى حرب ضروس مع صلاح الدين الذى تمكن من توحيد الجبهة الإسلامية، وأكمل استعداده لمواجهة الصليبيين المواجهة الحاسمة..فماذا حدث من تطور العلاقات بين الفريقين بعد ذلك؟

لقد ارتمى ريموند فى حضن صلاح الدين، وحصل منه على هدنة شملت أراضى زوجته بالجليل، كما وعده صلاح الدين بالمساندة فى تحقيق هدفه فى أن يصبح ملكاً0 ومن هنا بدأ أعداؤه ومنافسيه يتهمونه بالخيانة، ولم يكتفوا بذلك بل تحركوا صوب الناصرة لإخضاع الجليل لسيادتهم قبل بدء الهجوم الإسلامى 0 وهنا صارت المملكة على شفا الحرب الأهلية، التى لم ينزع فتيلها بعد ذلك سوى باليان إبلين الذى طلب أن يقوم بدور الوسيط بين جى وريموند الذى رفض الخضوع لجى ما لم تعد إليه بيروت، فى الوقت الذى اعتقد فيه جى أن هذا الثمن باهظ، لكن مع اقتراب خطورة صلاح الدين تحدث باليان لجى فى الوفاق بينه وبين ريموند قائلاً له " لقد خسرت بمقتل بلدوين سيد الرملة خير فارس عندك، فإذا خسرت أيضا مساعدة الكونت ريموند ونصيحته، انتهى أمرك"0

وعند ذلك الحد وافق جى وأرسل إلى ريموند سفارة مكونة من جوسياس رئيس أساقفة صور، ومقدمى الداوية والإسبتارية فى طبرية، ومعهم باليان ابلين للمرة الثانية[(117)]0

اضطر ريموند إلى قبول الصلح مع جى بعد نجاح قوات صلاح الدين فى إلحاق الهزيمة بقوات الصليبيين فى وقعة عيون كريسون 1187م/583هـ[(118)].

1906, p.659, CF.also, La Mont, John d'Ibelin, The Old Lord of Bierot, in Byz.T., 12, 1937, p.421.

([1]) ذيل وليم الصورى، ص 54–55، انظر أيضا، ابن الأثير : الكامل، ج 11، ص 527، وكذلك، رنسيمان: المرجع السابق،ج2، ص 728–29 0

فأعلن نقضه للمعاهدة، ثم ذهب إلى الملك فى بيت المقدس وبايعه وأعلن خضوعه له0 وهناك تلقاه جى ورحب به ترحيباً صادقاً، واعتذر له عن الطريقة التى تم بها تتويجه وتراءت المملكة وكأنها اتحدت آخر الأمر (119)0

مع اقتراب المعركة الحاسمة بين صلاح الدين والصليبيين، تصاعدت وتيرة التنافس والصراع واشتد التوتر بين فريقى البارونات من الفرنج المستوطنين، وحزب المغامرين من القادمين الجدد خاصة مع وجود رينودى شاتيون وأفعاله المشينة، هذه الخلافات ستبدو أكثر وضوحاً مع تفاصيل المعركة منذ بداياتها إلى نهايتها أولا بأول0

([2]) تقع عيون كريسون بين صفورية وكفركنا. انظر، ياقوت الحموى : معجم البلدان، بيروت، 1979، ج4، ص 470 0

([3]) ما إن حضر كونت طرابلس ورآه الملك ترجل عن جواده وانتصب واقفا على قدميه، وفعل الكونت هو الآخر مثله فنزل عن حصانه واتجه إلى جى ثم خر أمامه راكعاً على ركبتيه، فرفعه الملك وطوقه بذراعيه وعانقه وقبله، ثم عادا الإثنان إلى نابلس وأقاما بها، وراح الملك جى يعتذر للكونت، والكونت يقول له أنه سيستجيب لما ينصحه به متى سلمت مملكته واستقرت دعائمها وحكمت حكما سليما، إلا ان عدم صدق النية والحسد المؤديان إلى الكراهية بدلا من المحبة كانت تحولان بين الملك وعمل اى شيئ يشير به عليه – كما سنرى فيما بعد– انظر ذيل وليم الصورى، ص 64 . Ernoul, op.cit,pp.143,154.

ولقد أشار ابن الأثير إلى أن كثير من قادة الفرنج قد أنكروا علاقة ريموند بصلاح الدين، كما أن البطريرك هدده بأن يحرمه وأن يفسخ نكاح زوجته، وأن ريموند عندما رأى شدة التهديد اعتذر وتنصل وتاب فقبلوا عذره، وغفروا زلته0 للمزيد انظر، ابن الأثير : الكامل، ج11، ص 532 0

ويرى المؤرخ سميل أن كل المخططات التى خطط لها ودبرها حزب البارونات المعادى لجى، ومحاولاتهم المضنية طرده من الوصاية والحكم، وإحلال أحدهم محله بحيث يصبح المستشار الأول للمملكة، ثم الملك بعد ذلك باءت بالفشل، وأن الأحداث التى تلت ذلك يتحمل الجميع مسئوليتها، وبالتالى فليس البارونات ابرياء منها كما حاول كتاب الحوليات إيهامنا بذلك، لأنهم كانوا عديمى الضمير ومتحجرى القلب بما يكفى لأن يرفضوا أن تملى عليهم القرارات من أحد. للمزيد انظر : Smail, op.cit,p.172 .

ولقد اتضح مدى سيطرة كل من رينو دو شاتيون (أرناط) وجيرار دو ريدفور مقدم الداوية على الملك جى لوزينان، فلم يكن له معهما كلام، ولم يرفض مشورتهما أبداً، بل لم يقدر إلا ان يطيعهما، والدليل على ذلك كثرة الأفعال المشينة التى فعلها أرناط ضد قوافل المسلمين وخرقه للهدنة المعقودة بين المسلمين والصليبيين أكثر من مرة، وعدم قدرة جى على معاقبته أودفع التعويضات اللازمة للمسلمين ولصلاح الدين عن ذلك[120]0 ويرجع المؤرخون سبب موقف جى من أرناط أن الأخير كان له فضل كبير فى تتويجه ملكاً فصار بذلك صاحب يد عليا عليه [121]، أما مقدم الداوية فكان كما أشرنا يكره ريموند كونت طرابلس كراهية مطلقة وبالتالى حاول جاهداً دحض وإبطال مفعول أى نصيحة يقدمها ريموند للملك جى [122]، فعندما وصلت الأخبار باجتياز صلاح الدين نهر الأردن، وإقدامه على حصار طبرية وفيها زوجة ريموند

---

(1) تعددت الأفعال السيئة التى أقدم عليها ارناط، والتى كانت سبباً رئيسياً فى اشتعال أوار الحرب بين المسلمين والصليبيين، ومن أمثلة خروقاته واعتداءاته، مهاجمته لقافلة إسلامية عام 1181م/577هـ، عند وادى تيماء على الطريق الممتد من دمشق إلى مكة، واستولى على كل ما تحمل من السلع التجارية 0 وعندما طلب صلاح الدين تعويضاً من الملك جى طالب الأخير أرناط برد ما سلب من القافلة فرفض اعتماداً على التأييد من أصدقائه فى البلاط الملكى، ولم يستطع الملك الضعيف فعل شيئ له؛ ثم كانت حملته على البحر الأحمر وتهديد مكة والمدينة، ونجاح اسطول المسلمين فى ردها، وبعدها كانت جسارته فى مهاجمة قافلة كبيرة فى طريقها من مصر إلى دمشق عام 1186م/582هـ0 استولى عليها وحاز على غنائم كبيرة منها لم يسبق= =لها مثيل 0 ورغم محاولات صلاح الدين استعادة الأسرى أو الحصول على تعويضات، وتوسلات جى لأرناط، لم يفعل شيئا، ولم يكن بوسع جى أن يفعل هو الآخر شيئا، مما جعل الحرب أمراً لا مفر منه، وهى حرب جلبت الوبال على المملكة المنقسمة على نفسها 0 للمزيد انظر : ابن شداد: المصدر السابق، ص 60، ابن الأثير: الكامل، ج11، ص 527 ، وأيضا Ernoul,op.cit, pp.143-154. وكذلك رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 697–98، 706–709، 711 0

(2) رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 727–728 ، Smail, op.cit, loc. cit.

(3) كان الملك جى يحب جيرار دو ريدفور ويخشاه، فهو أحد الذين نصبوه ملكاً، وهو الذى اعطاه الأموال التى بعث بها ملك انجلترا..انظر : سهيل زكار : حطين ..مسيرة التحرير من دمشق إلى القدس، دمشق، ط1، 1984، ص 134 0

إيشيفا إبلين، والتى تحصنت بقلعة المدينة 0 عقد الملك جى مجلسا للبارونات فى عكا، وكان ريموند أول من تحدث فى الاجتماع، فأشار على الملك بأن الجيش الذى يهاجم فى حرارة الصيف اللافحة، لن تكون الأمور فى صالحه 0 وبالتالى لابد أن تكون الخطة قائمة على أساس التزام الدفاع المطلق، فإذا لم يتعرض الجيش الصليبى للهزيمة، فلن يكون بوسع صلاح الدين البقاء بقواته الضخمة فى هذه البلاد الحارة فترة طويلة، وسوف ينسحب بعد فترة، ثم تصل بعد ذلك الأمداد من أنطاكية، وكانت الغالبية تميل إلى اتباع هذا الرأى[(123)] 0 ورغم الخطورة التى تعرضت لها زوجة ريموند المحاصرة فى طبرية إلا أنه لم يتخل عن خطته، فقام فى صفورية بتكرار نفس خطبته فى عكا قائلا : "إنه من الحماقة التخلى عن هذا الموقع القوى فى صفورية، والمخاطرة بالسير على جانب التل الاجرد فى قيظ يوليو، ثم قال إن طبرية مدينته والتى بها زوجته ومع هذا فهو يفضل أن تضيع طبرية بكل ما تحويه على أن تضيع المملكة"0 وحملت كلماته فى ثناياها الإقناع، وانفض المجلس فى منتصف الليل، بعد أن تقرر البقاء فى صفورية[(124)] 0

وفى ظلام الليل، وبعد انصراف البارونات إلى مواقعهم، تسلل مقدم الداوية إلى خيمة الملك وقال له "مولاى حذار..حذار من الرأى الذى أشار به عليك الكونت فما هو إلا خائن، وستعرف انه لا يضمر شيئا من الحب لك، وإنما هو دائم السعى إلى ما يجلب العار، ويؤدى إلى ضياع المملكة، ونصيحتى لك أن تغادر هذه الناحية فوراً، لأنك إن لم تغادرها فسيأتى صلاح الدين ويهاجمك، فإن هو هاجمك فلن تجد

---

(1) لما فرغ الكونت من كلامه مع الملك رفضه كبير الداوية وتمتم بكلمات سمعها ريموند بنفسه ولم يعرها اهتمام حيث قال كبير الداوية للملك انه يتبرقع بجلد الذئب، ولكن ريموند رد على الملك قائلا : "سيدى، إذا لم يقع كل شيئ كما أخبرتك به .. إقطع رأسى" للمزيد انظر، ذيل وليم الصورى، ص 68–69 0 وانظر أيضا رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 736 0

(2) عندما أنهى ريموند كلامه هذه المرة بادره أرناط قائلا : "لقد أطلت فى التخويف من المسلمين، ولا شك أنك تريدهم، وإلا ما كنت تقول هذا، وأما قولك أنهم كثيرون، فإن النار لا يضرها كثرة الحطب"0 انظر : ابن الأثير، الكامل، ج 11، ص 533، وانظر أيضا، سهيل ذكار: المرجع السابق، ص 130 0

أمامك سوى الانسحاب وتكون حينذاك قد جللت نفسك بالعار، وألحقت بها الشنار، فأعلن فى الجيش كله، بان على كل رجل حمل سلاحه، والانضمام إلى جماعته، للانضواء تحت لواء الصليب المقدس"[(125)]0

استجاب الملك لمقدم الداوية، وأمر البارونات بتحريك المعسكر ليلا من صفورية فاستغربوا وطلبوا منه أن يبقى المعسكر الليلة على الأقل، كما طلبوا منه أن يعرفوا من الذى أشار عليه بهذا الأمر، وهذا الرأى الخطير، فأجابهم "ليس من شأنكم أن تسألونى عمن أشار على بذلك الرأى حتى نزلت عليه وأخذت بمشورته، والآن فإنى أريد منكم أن تمتطوا جيادكم وتتركوا هذه الناحية وتنطلقوا شطر طبرية"، فاضطروا كأفصال أن يطيعوه، وليتهم ما فعلوا [(126)]0

اضطر ريموند أن يكون على مقدمة الجيش، ولم يتوافر الماء على طول الطريق، وأصاب الرجال والخيول الظمأ، إضافة إلى رماة السهام من المسلمين الذين أمطروا مقدمة الجيش ومؤخرته وقلبه بوابل من السهام، فاضطر الجيش للتوقف عند تل حطين رغم توسلات البعض باستمرار السير، لكن الملك جى قرر التوقف تلك الليلة بعد أن اشتد تأثره بما حل لرجاله من تعب وإرهاق 0 وما إن علم ريموند بهذه الأنباء حتى أخذ يصيح "يا الله... انتهت الحرب، لقد هلكنا، وزالت المملكة"، أما

---

(1) ذيل وليم الصورى، ص 73–74، وانظر أيضا رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 736

(2) لم يكن جى جباناً، بل مغامراً متهوراً استطاع مقدم الداوية دغدغة مشاعر الحماسة والتعصب الصليبى عنده، كما عرف كيف يجعله ألعوبة فى يديه إلى الحد الذى جعل أحد المؤرخين يتهم جيرارد بأنه "الرجل الذى ضاعت الأرض على يديه، وهو اتهام يحمل فى طياته السخرية من الملك الضعيف جى لوزينان، وفساد مستشاريه الذين لم يهتموا إلا برغباتهم ومصالحهم فقط..انظر، ذيل وليم الصورى، ص 74، وانظر أيضا زكار: المرجع السابق، ص 135 0

وعندما بلغ صلاح الدين خبر مسير الفرنج من صفورية إلى طبرية كما توقع صرخ قائلا "جاءنا ما نريد، ونحن أولو بأس شديد، وإذا صحت كسرتهم فطبرية وجميع الساحل ما دونه مانع، ولا عن فتحه وازع"0 انظر : العماد الأصفهانى: المصدر السابق، ص 77 0

صلاح الدين، فكان فرحاً مسروراً إذ حانت له آخر الأمر الفرصة التى كان ينشدها وخطط لها(127)0

ما جرى بعد ذلك معروف، حيث تمت الهزيمة كاملة على الصليبيين، ونجح كل من ريموند وباليان إبلين، وحاكم صيدا "رينو" أن يشقوا طريقا ويهربوا خارج المعركة، أما الباقون أى افراد الحزب المتحمس المتعصب القادمين حديثا، فقد وقعوا كلهم أسرى لدى صلاح الدين الذى عاملهم معاملة حسنة إلا ارناط الذى أطاح برأسه جزاء أفعاله وجرأته0 والحقيقة أنه جرت فى حطين إبادة جيش ضخم لم تحشد المملكة مثله من قبل، وضاع الصليب المقدس، وصار المنتصر سيد العالم الإسلامى بأسره(128)0

ترتب على معركة حطين والهزيمة التى لحقت بالفرنج فيها نتائج خطيرة وتداعيات كثيرة على مستقبل المملكة عامة، وعلى مستقبل العلاقة بين فريقى القادمين الجدد وبارونات الشرق من الفرنج المستوطنين خاصة.. وهنا لابد أولا من البحث عن أسباب الهزيمة، ومن المسئول عنها؟

السبب الرئيسى فى الهزيمة يعود إلى الأخطاء الاستراتيجية فى المعركة؛ وهى الأخطاء التى وقع فيها الصليبيون، وخاصة فى فهم عقلية واستراتيجية صلاح الدين والجيوش الإسلامية من ناحية، وفى اختيار توقيت التحرك والهجوم لملاقاة صلاح الدين، من ناحية أخرى 0 وفى هذا الخصوص نرى أن ريموند الثالث كونت طرابلس كان أعرف بالمنطقة من سواه من الأمراء، كما كانت معارفه الحربية وقدراته التكتيكية مشهورة، كما كان لديه القدرة على الإقناع وعرض أفكاره بشكل واضح ومنطقى؛ ليس هذا فحسب بل كان يعرف استراتيجية صلاح الدين واستراتيجية جيشه الذى كان نصفه من المتطوعة الذين يفقدون الصبر بعد قليل من المرابطة 0 والنصف الآخر من

---

(3) رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 738، زكار : المرجع السابق، ص 142 0

([1]) ابن شداد : المصدر السابق، ص 75–79، ابن الأثير : الكامل، ج 11، ص 534–536، ابن واصل : المصدر السابق، ج2، ص 184–192، وأيضا : Ernoul, op.cit,pp.170-174.

وكذلك:رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 739–742، سميل : المرجع السابق، ص 187–188 0

أمراء الإقطاع وحكام الأطراف الذين تتملكهم الرغبة الشديدة فى العودة إلى أراضيهم0 ومما تقدم لم يكن صلاح الدين وهو يعسكر فى أرض عدوه فى وضع يسمح له بالمرابطة طويلاً، فرأى ريموند أن الواقع والصواب البقاء فى معسكر صفورية وعدم التحرك لملاقة صلاح الدين، لأن فى ذلك مجازفة بالخروج فى جو حار والسير فى صحراء جرداء عديمة الماء مسافات طويلة ترهق المقاتلين وتجعلهم فى وضع لا يسمح لهم بالقتال الجيد والمجدى، وهذا معناه أن ريموند فهم أن هذا شرك منصوب من المسلمين لابد من تفاديه كما تشير المصادر اللاتينية [129]، كما كان يرى أن علاقاته بصلاح الدين تسمح له بالحصول على انسحاب جيوش صلاح الدين والحيلولة دون حدوث قتال، وهذا افيد للصليبيين من أى شيئ آخر. والحقيقة أن ريموند هنا يمثل الحزب الذى ينتمى إليه خير تمثيل وهو حزب بارونات الشرق الذى يميل إلى المهادنة وتجنب الحرب ما وجد إلى ذلك سبيلا، بعكس الحزب الآخر من القادمين الذين يمتازون بالحماسة والتعصب، وبالتالى كان من الصعب، بل والمستحيل، قبول آراء ريموند أو تطبيقها 0 وقد أحس هو بهذا قبل أن يتكلم حين قال :أعلم علم اليقين أنه ما من أحد منكم يرغب فى تصديقى" [130]0 أما أعضاء الحزب الآخر المعادى لريموند وعلى رأسهم جيرار دو ريدفور وأرناط فقد اعتبروا التحرك لنجدة طبرية وعدم البقاء فى المعسكر عملاً من أعمال الشرف والفروسية لا يجوز تأخيره، وبالتالى حركتهم عواطفهم وغرائزهم رغم أن قرار التحرك هذا كان من أشد وأكثر الأعمال حماقة، يضاف إلى ذلك سوء اختيار توقيت التحرك والزحف المفاجئ الذى كان فى ساعات ما قبل الفجر، وهو وقت تكون شجاعة الرجال فيه فى أدنى مستوياتها انخفاضاً، فأصيب الجنود بالتوتر والضيق، وانتشر بينهم الشعور باليأس

([1]) ذيل وليم الصورى، ص 69 0

([2]) ذيل وليم الصورى : ص 68–69 0 Ernoul, op.cit,p144-150.

وانظر أيضا، زكار : المرجع السابق، ص 127، 131–132 0

وتوجس الشر، وأن الكارثة قريبة الوقوع، وهى ظروف نفسية سيئة أفرد لها المؤرخون الغربيون قدامى ومحدثين صفحات كثيرة(131)0

بناءً على ما تقدم، نرى أن ريموند أشار بالرأى الصحيح، لكن كلمته لم تكن مسموعة لتنفذ، كما أن حزبه لم يكن الحزب الحاكم، وكان عدوا لجى وأعوانه وخاصة جيرار دو ريدفور، ذلك الحزب الذى كان لا يثق فى ريموند ليس هذا فحسب ولكن أيضا يعتبره خائنا لا يجوز الوثوق فى كلامه مطلقاً 0 ولا شك أن جى وأرناط ورفاقهم قد آمنوا بذلك إيماناً مطلقاً، وهذا لب القضية، فالصراعات الشخصية والعداوات الفردية جعلت الأمور تتداخل، والأحكام تمتزج بشكل جعل من المحال التمييز فى عقولهم بين ريموند خصمهم، وريموند العسكرى المجرب والاستراتيجى الخبير (132)0

وإذا كان فرسان الصليبيين أذكياء ولا يقلون شجاعة ولا حنكة عن صلاح الدين، كما ان البارونات كانوا عقلاء فهموا بدقة وبدرجة كافية حجج ريموند وخططه، فعلى من تقع مسئولية ما حل بالصليبيين فى حطين، وهو سؤال اختلفت الإجابة عليه بين المؤرخين، فهناك من يرى أن جيرار دو ريدفور هو الذى تقع عليه المسئولية، يشاركه فيها أرناط ومن ماثله من القادة فى تركيبة الشخصية والصفات 0 فهل تحكمت فى هؤلاء مشاعر العداوة لريموند فقط، أم أن الأمر مرتبط بالرعونة والطيش وانعدام الصبر والرغبة فى الثأر والتهور مع التعصب، والطموح فى الاستيلاء على ممتلكات إسلامية جديدة(133)0 اعتقد أن كل هذا صحيح0

هناك من ألقى باللائمة على جى باعتباره الملك صاحب قرارات التحرك وأى قرار آخر خطير، واتهموه بالضعف والجبن، وأنه لم يملك الجرأة فى مواجهة الرجال الذين أقاموه على عرش المملكة، وخاصة جيرار الذى كان يحبه بل يخشاه تماماً ويعتمد عليه اعتماداً كلياً0 لكن هناك من يدافع عنه ويرى أنه لم يكن ليقبل النصيحة

([3]) ذيل وليم الصورى : ص 74–75، Ernoul, op.cit,p.146-148 وانظر أيضا، رنسيمان : المرجع السابق، ح2، ص 734–735؛ زكار : المرجع السابق، ص 135 0

([1]) رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 736، زكار : المرجع السابق، ص 133 0

([2]) زكار : المرجع السابق، ص 166 0

من ألد أعدائه ريموند، لأن جذور العداوة متأصلة عنده ضد ريموند وحزبه، بينما قبل نصيحة جيرارد غير الصحيحة لما سبق أن قلناه من تأثير جيرارد عليه، ويرى أصحاب هذا الرأى أنه لا يمكن الحكم بإدانة جى، لأن الذين تصدوا للكتابة عنه من المؤرخين القدامى كانوا من أعدائه(134)، وهذا دفاع واه لا يقبله المنطق ولا تستقيم فى ظله الأمور، فقد كان جى ضعيف الشكيمة، وليس لديه القدرة على سياسة رجاله، والأدلة كثيرة على عدم قدرته مثلا على كبح جماح أرناط رغم خروقاته الكثيرة للهدنة التى كانت بين المسلمين والصليبيين، وكذلك اتباعه لجيرارد فى كل كبيرة وصغيرة، وهى أمور جعلت بعض الفرسان يتهكمون عليه مثل ذلك الفارس الذى يدعى جيوفروا Geoffroi Francliew الذى ذهب إلى الملك وقال له "مولاى الملك، لقد آن الأوان لتجعل البولان غالبين على رجال مملكتك"، كما أن الشعب الفرنجى من المستوطنين كان يكرهه لأنه حين تولى الحكم راح البواتيون من بنى جلدته ينشدون فيما بينهم فى القدس أغنية أسخطت رجال المملكة سخطا شديدا(135)0

وهناك من أدان ريموند واتهمه بعدم الضمير وتحجر القلب بعد نجاحه بطريقة ما فى أن يهرب من المعركة هو وأولاده الأربعة وكثير من فرسانه تاركين بقية

([2]) المقصود بذلك بالتحديد المؤرخين إرنول ووليم الصورى – كما سبق أن أوضحنا– 0
انظر: Smail, op.cit,p.177.

([3]) ذيل وليم الصورى، ص 86، وكلمات الأغنية هى : Maugre li polian وتعنى، ليتذمر وليغضب البولانى Avrons nous roi paitivin. 0 وتعنى، لنغيظهم بملكنا البواتى0
والحق ان كثير من الكتابات والمصادر اللاتينية تعتبر جى فى نظرهم "مجرد غلام ضعيف وغبى" ورجل حسن المظهر بلا قيمة، كان اختياره مجرد نزوة إمرأة وضجر وسأم ملك يحتضر 0 لكن هذه الصورة صورة مبالغ فيها وفيه تشويه لشخصية جى، ومحو أى صورة أو عمل إيجابى له 0 وهذا يناقض الوقائع فهناك بعض الأدلة على أنه كان شجاعاً وحازماً، وقد ظهر ذلك بعد تحرره من أسر صلاح الدين، فبقى فى عكا أثناء حصارها وصمم على الحصول على حقوقه كاملة كملك بعد وفاة زوجته؛ كما نجح فى تأسيس حكومة له فى قبرص0
للمزيد انظر : Smail, op.cit,p.164. 0

زملائهم يلاقون مصير القتل أو الأسر [136]، فاعتبروا ذلك دليلا قوياً على خيانته وتفضيله مصلحته الشخصية على مصلحة الصليبيين ككل 0

نستخلص مما تقدم أن الروح العدائية والصراع بين شطرى المجتمع الصليبى من القادمين الجدد وبارونات الشرق المستوطنين هو السبب الرئيسى والأساسى فيما حل بالصليبيين من كارثة، اعتبرها البعض كارثة عاصفة هوت بالمملكة دفعة واحدة من السفح إلى الهاوية، فى حين يرى آخرون أن هناك شك فى تعاظم نتائج هزيمة حطين، ويعتمدون فى وجهة نظرهم على أن الفرنج ظلوا لمدة قرن تال قادرين على المقاومة على الساحل، وقادرين على ممارسة نشاط كبير فى الداخل، بيد أن ميزان القوى جعل من المستحيل عليهم منذ تلك اللحظة أن يحافظوا على المملكة والإمارات الأخرى فى الظروف السابقة التى كانت عليها [137]0

وفى النهاية لا نملك إلا القول بأن هزيمة حطين تركت آثارها واضحة على العلاقة بين الفريقين المتنافسين فيما بعد، حيث تزايدت نظرات الشك والريبة، وزاد سوء الفهم المتعمد أحيانا من قبل كل طرف من الطرفين، وهو الأمور التى ستكشف عنها الأحداث التالية0

فيما يتعلق بالأزمات التى لم تكن نتائجها خطيرة، لكنها ساهمت فى استمرار حالة القلق والتوتر داخل المجتمع الصليبى 0 نشير إلى أن الحملة الثالثة على سبيل

([1]) مات ريموند نهاية عام 1187م/583هـ، وكان قد خر مريضاً بالالتهاب البلورى بعد هروبه من حطين، واعتقد بعض الناس أن مرضه يرجع إلى الأسى والعار بسبب اتهام الكثير من المعاصرين له بالخيانة وأن أنانيته أدت إلى تدمير المملكة، أما المؤرخون المسلمون فأشاروا إلى وفاته بالإلتهاب الرئوى..للمزيد انظر :

Eracles, L’estoire de Eracles Empreur et la Conqueste de la terre d’outremer, ed, R.H.C.-H.Occ,T.II, Paris, 1859, P. 72.

وانظر أيضا: ابن شداد، المصدر السابق، ص 60، ابن الأثير : الكامل، ج 11، ص 538 0

وانظر كذلك، رنسيمان، المرجع السابق،ج2، ص 759 0 وأيضا ، Smail, op.cit,p.172. ، زكار : المرجع السابق، ص 155 0

(2) كاهن : المرجع السابق، ص 191 0

المثال لم تحقق – بكل ما جاءت به من قوة عسكرية وملوك كبار – نتائج ذات قيمة اللهم إلا استرداد بعض المعاقل الساحلية مثل عكا وحيفا وغيرهما، وكذلك تحقيق بعض الانتصارات الطفيفة على المسلمين مثل انتصارهم فى معركة أرسوف 1191م/587هـ[138]؛ لكن رغم هذه النجاحات فقد كان هناك مصادمات متنوعة بين رجالات الحملة من القادمين الجدد والسكان المقيمين من الفرنج المستوطنين؛ من ذلك انه بعد استرداد عكا من المسلمين 1191م/587هـ، بدأت المشاجرات بين الصليبيين بعضهم بعضا حول الأسبقية أو من ينبغى أن يعيش فى المدينة، ولذا وجدنا التجار الإيطاليين الذين كان لديهم ممتلكات فى المدينة – قبل سقوطها فى أيدى المسلمين– يبذلون كل ما أمكنهم من أجل استعادة ممتلكاتهم مرة أخرى على حساب القادمين الجدد الذين قاتلوا معهم جنباً إلى جنب زمن الحصار [139]، كذلك استحوذ الجشع والطمع على الكثيرين لدرجة أن كونت بار الشجاع استحوذ على فسطاط السلطان ذاته، بينما كان الألمان قائمين بنهب معسكر المسلمين بعد خروجهم وتملكتهم الأنانية والجشع، بل أن ريتشارد قلب الأسد أصدر أوامره بعدم دخول دوق برجنديا ورجاله إلى عكا لئلا تكون إقامته سببا فى إلحاقه الضرر بها أو تكون مصدر إزعاج أو سبب فى فضيحة ينجم عنها مشكلة[140]0

فى فترة الهدنة عام 1202م رفض عمورى الثانى Amaury II ملك بيت المقدس (1197–1205م/594–602هـ) القيام بأى عمل من شأنه تقويض السلام مع المسلمين حتى تصل الحملة التى دعى إليها البابا إنوسنت الثالث Innocent III

([1]) للمزيد من التفاصيل حول هذه المعركة ونتائجها، انظر : ابن شداد: المصدر السابق، ص 175–178، أبو شامة، الروضين، ج2، ص 190–191 0

([2]) المؤرخ المجهول : الحرب الثالثة، ص 146 0

([3]) كان الرجال الفرنسيون يمضون لياليهم فى حفلات الشراب، ولا يعرف النوم سبيلا إلى أجفانهم، فإذا ما احتدمت حمى الشراب، تأججت فيهم رغبة جامحة إلى الفتيات، فيسعون إليهن، ويطرقون أبوابهن، فإن وجدوها مغلقة أمامهم أو سبقهم إليها أحد هموا بتحطيمها وانطلقوا يسبون ويتفوهون بألفاظ ينزعج مع سماعها كل رزين وعاقل. انظر : المؤرخ المجهول، الحرب الثالثة، ص 154، وأيضا أنتونى بردج : المرجع السابق، ص 212 0

1198م/594-595هـ، وهو ذات العام الذى اعتلى فيه كرسى البابوية، ولذلك لم يوافق عمورى الفرسان الفلمنكيين الذين كان عددهم بضع مئات، والذين قدموا إلى عكا 1202م/598-599هـ، وكذلك بعض الجموع الفرنسية التى لحقت بهم فى مطلع العام التالى، والذين رغبوا فى قتال المسلمين ومحاربتهم (141)، ورفض عمورى أن يشاركهم فى القتال بحجة أنه يدخر قواته لعمل عسكرى شامل كان يعد العدة له، ولذلك اتجهوا إلى أنطاكية ودخلوا فى خدمة أميرها (142)، والحقيقة أن أفراد هذه الجماعة ارتاعوا عندما أمرهم الملك عمورى بالتزام الصبر، فوجه إليه أحدهم ويدعى رينو دو دامبير Renaud de Dampierre السباب علناً ونعته بالجبن، وكانت نتيجة مغامرة دامبير ورجاله نجاح أمير اللاذقية المسلم فى الإيقاع بهم فى كمين، فأسر من أسر وأجهز على الباقين (143)، وهنا لم تنفعهم حماستهم ولا اندفاعهم وهى الأمور التى حذرهم منها عمورى باعتباره ممثلاً لبارونات الشرق العارفين بالمنطقة المدركين للظروف واستراتيجية التعامل مع المسلمين0

وعندما نجحت الحملة الرابعة فى تأسيس المملكة اللاتينية فى القسطنطينية، أدرك فرسان الغرب المغامرون من القادمين الجدد أنه لا داعى مطلقاً لأن يمضوا فى طريقهم إلى مملكة بيت المقدس المكتظة، فى سبيل الحصول على بارونية أو الزواج من وراثة إقطاع؛ ففى بلاد اليونان ما يفوق أراضى بيت المقدس جودة وغنى، ولذا لم

([1]) كان يقود الأسطول الفلمنكى الذى حمل هؤلاء الرجال يوحنا نسله، قسطلان بروج، وقد انضم إليه فرسان من مرسيليا بزعامة والتر أسقف أوتون، وكونت فوريز، وجماعة أخرى من الفرسان الفرنسيين منهم كونت بيرش، وروبرت كونت مونتفورت، ورينو الثانى كونت دامبير.

انظر للمزيد : Ernoul, op.cit,p.341.

([2]) Ernoul, op.cit, loc, cit,

وانظر أيضا:رنسيمان: المرجع السابق، ج3، ص 186-187، عمران : المرجع السابق، ص 106 0

([1]) أعلن رينالد مونتمرايل – الذى وكان واحداً من الذين تركوا الجيش الصليبى فى زارا والتحق بهذه الجماعات – أنه لم يتخذ الصليب إلا ليقاتل المسلمين، وبالتالى كان تخليه عن الحملة الرابعة متجهاً إلى الشام. انظر، رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 210

يقدم إلى بلاد الشام بعد تأسيس المملكة اللاتينية فى القسطنطينية التى تعرف اختصاراً باسم رومانيا سوى المجندين فى الخدمة بالطوائف الدينية العسكرية (144) 0ومن هنا كانت الحملة الرابعة تمثل النموذج الحى للحماقة السياسية العاتية، وهى أكبر دليل على فساد دوافع الصليبيين، وأكبر دليل على تغير الروح الصليبية المتحمسة المتعصبة لدماء المسلمين، والتى أحدثت انهياراً وجدانياً لدى بعض المخلصين للحركة الصليبية من المسيحيين، كما أنها تسببت فى إنقطاع المساعدات عن الفرنج فى فلسطين، والأكثر من ذلك أنها سلبتهم أنصارهم الأقوياء وقلبت رأساً على عقب كل وسائل الدفاع عن العالم المسيحى(145)0

ومع استمرار الظروف التى أحاطت بالصليبيين فى الشرق بعد الحملة الرابعة وتأسيس المملكة اللاتينية بالقسطنطينية، أصبح وضع فرنج الشرق أو المستوطنون أكثر صعوبة كما أوضحنا، لكن رغم ذلك فقد كانوا لا يتحمسون لقدوم حملات جديدة، فعندما جاء ملك المجر أندرو Andro، وليو بولد الرابع Leopold IV دوق النمسا إلى الشرق فى حملة عام 1217م/614هـ، جلبوا معهم حوالى خمسة آلاف جندى لغزو بلاد المسلمين، وجدنا الفرنج فى الممالك الصليبية لم يتأثروا كثيراً برؤيتهم ولا بقدومهم حيث كانوا يعيشون فى إزدهار اقتصادى ترتب على العلاقات السلمية التى سادت بينهم وبين خلفاء صلاح الدين، الذين كانوا كذلك مشغولين بالقتال فيما بينهم على ميراثه، وبالتالى كان الصليبيون فى الشرق فى نعيم مقيم تسبب فى ذهول هؤلاء القادمين الجدد الذين رفضوا بشدة فكرة العيش فى سلام مع المسلمين، وكانوا يتحرقون

([1]) فيلها ردوان : مذكرات فيلها ردوان – فتح القسطنطينية، ترجمة وتعليق حسن حبشى، جدة 1982م، ص 132–133 0

والجدير بالذكر أن الملك عمورى الثانى ملك بيت المقدس عندما عقد فى سبتمبر 1204م/601هـ، هدنة مع الملك العادل، ردد فى أسف شديد قائلا "إنه ما من أحد يحفل بالقدوم من فرسان الغرب – عن طيب خاطر – إلى فلسطين، إذ أن الحروب الصليبية عثرت من جهة أخرى على أرض صيدا أكثر غزارة وأوفر غنى .

انظر : Ernoul,op.cit,p.407. ، وانظر أيضا : رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 191

(2) رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 232–233 0

شوقاً لقتل العديد منهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، كما دهشوا أكثر لحالة الغنى والترف التى تمتع بها الفرنج فى الممالك الصليبية كشئ اعتيادى، وكذلك ملابسهم وعاداتهم الشرقية، وهى أمور جعلتهم من وجهة نظر القادمين الجدد كسالى خاملين، انغمسوا فى الفسوق مع أعداء الصليبيين، دون أى إشارة عن العداء ضدهم (146)0

فى إطار هذه الروح القائمة بين الفريقين لم تكن هذه الحملة لتنجح، ولذلك فلم تحقق سوى نجاح بسيط تمثل فى نهب بيسان والاستيلاء عليها، ثم القيام بالطواف حول بحيرة طبرية دون تحقيق أى شئ جديد 0 لكن ديونيس Dionise ابن أخت أندرو عزم على مهاجمة جبل صيدا، رغم تحذيرات حاكم صيدا الصليبى له (147)، لكنه صمم على ما يريد، وقام معه خمسمائة جندى من أبطال الصليبيين واتجه إلى الميادنة(148)، فأخلاها أهلها، فنزل الصليبيين ليستريحوا ويريحوا خيولهم فلم يتركهم أهالى الميادنة لينعموا بالراحة، ونزلوا عليهم من الجبال واستولوا على خيولهم، وأعملوا فيهم السيف، فقتلوا وأسروا، وكان ديونيس نفسه من القتلى، ولاذ الباقون بالفرار (149)0

وهكذا ساهمت قلة عدد أفراد هذه الحملة، وعدم تنظيم أفرادها، وإهمالهم الاعتماد على قائد الجيش آنذاك جان دو بريين، إضافة إلى جهلهم المطبق بجغرافية المنطقة من جهة وعدم استجابتهم لنصائح الفرنج المستوطنين من جهة أخرى، إضافة إلى اهتمام أندرو بالحصول على بعض بقايا آثار القديسين وفرحته الشديدة لذلك، وإيثار هذا الأمر عما عداه من الأمور (150)، ساهم كل ذلك فى عدم تحقيق هذه

([1]) أنتونى بردج : المرجع السابق، ص 243–244 0

([2]) قال له حاكم صيدا الصليبى فى ذلك الوقت "إن أهل صيدا رماه، وهى بلد وعر"، انظر عمران: المرجع السابق، ص 74 0

([3]) الميادنة، جزيرة قرب قرية مشغر الواقعة على سفح جبل لبنان0 انظر : ياقوت الحموى : المصدر السابق، ج4، ص 540 0

([4]) بردج : المرجع السابق، 245–246، عمران : المرجع السابق، نفس الصفحة0

([1]) أشار البعض إلى أن أندرو قد عثر على آنية فخارية عليها زخارف كبيرة، واعتقد أنها أحد الأباريق التى استعملت فى كانا فى الجليل، عندما حول السيد المسيح بأعجوبة ما فيها من ماء إلى خمر، وذكر آخرين إلى أنها كانت أحد الأوانى السبع المذكورة، وأنه حمل معها كذلك رأس كل من

الحملة أى نتائج ذات بال، وإن كانت قد لفتت أنظارهم إلى ضرورة السيطرة على مصر باعتبارها رأس الأفعى ومصدر القلق الدائم للصليبيين بالشام (151)0

وهكذا انتهت الحملة الهنغارية دون تحقيق عمل مهم فى الشام، كما ساهم رحيل أندرو – على حد قول أحد الكتاب المحدثين فى فشل الحملة الصليبية الخامسة (152)0

قبل مجيئ الحملة الصليبية الخامسة، كانت البلاد بلا قائد يقودها، ولم يبق فى عكا ومدن الشام الأخرى إلا عدد قليل من الرجال الذين ولدوا فى الأراضى المقدسة، ولم يكن لهم وطن آخر غيرها؛ أما الفرسان المرتبطون بالأرض فقد توفى العديد منهم، بينما بقى على قيد الحياة فى المدن التجارية النخبة المتمسكة بحريتها، والتى كانت تتمتع بخبرة كبيرة فى فن التجارة مع المسلمين أكثر من خبرتها فى محاربتهم، وكان لابد فى البداية من العودة إلى حملة جديدة تنعش الآمال، بيد أن الإيمان لم يعد كما كان، ويبدو أنه كان قد تجمد كما يشير أحد الكتاب المحدثين (153)0

لا تعنينا تفاصيل الحملة الخامسة بقدر ما يعنينا الاختلافات والصدامات التى حدثت بين قائدى الحملة ورجالات كل واحد منهما، جان دو بريين الفارس الفرنسى الذى أصبح من البولانى "المهور" او بارونات الشرق، والذى كان يتكلم بلغة الفرنج المحليين ذاتها، لغة السلام والمصالح، فيقول : "المسيحية لا يمكنها تدمير الإسلام، والإسلام لا يستطيع ولا يريد تدمير المسيحية، وقد حكم على الديانتين بالعيش جنباً إلى جنب، إذاً لماذا لا نحاول العيش فى سلام؟" أما القائد الثانى فهو المندوب البابوى

القديسة مارجريت والقديس ستيفن، إضافة إلى اليد اليمنى للقديس توماس، وأنه رحل بعد ذلك متجهاً من عكا إلى أرمينية ومنها أبحر إلى أكويلا Aquila ثم إلى بلاده، انظر : بردج : المرجع السابق، ص 245، عمران، المرجع السابق، ص 176

(2) لأهمية مصر فى العقلية الصليبية لم يكن غريبا أن يضع – ليو بولد دوق النمسا والقادة المجريين الذين لم يعودوا إلى بلادهم مع أندرو، وكذلك النبلاء الكبار فى المنظمات العسكرية – أنفسهم تحت إمرة جان دو بريين لكونه ملك القدس، ولكونه جندى خبير ممارس . انظر، بردج : المرجع السابق، ص 246 0

(3) Thomas C.Vancleve, The fifth Crusade, in setton, vol.II, Phildelphia, 1962, p.394.

(3) ستامبولى : المرجع السابق، ص 34 0

بيلاجيوس Pelagius بكل ما يمثله من غطرسة وكبرياء وتجرد من اللياقة والكياسة، وبالتالى كان شخصاً لا يملك من الهيبة والشخصية ما يهيؤه لقيادة جيش مختلط، مما جعل كل مرحلة من مراحل هذه الحملة تحطمها الأحقاد القومية أو الشخصية [154]، ومما زاد الطين بلة أن رجال الدين انحازوا إلى جانب بيلاجيوس فيما إنحاز القادة العسكريين إلى جان دو بريين، مما ساعد على زيادة انشقاق الجبهة الصليبية إلى شقين أو قسمين يخضع كل منهما إلى طرف من الأطراف المتصارعة، مما كان له أسوأ الأثر على الحملة بأكملها[155]0

مما سبق يتضح أن المحصلة النهائية لهذه الحملة التى فشلت فشلاً ذريعاً، يتمثل فى نجاح بيلاجيوس فى تطوير أطر الصراع الطبيعى بين الفريقين وحوله إلى صراع متعدد الأطراف دخل فيه رجال الهيئات الدينية، والتجار الإيطاليين القاطنين فى فلسطين0 فالمندوب البابوى وحزبه من القادمين الجدد يرون أن سقوط دمياط يبشر بالفتح الكامل لمصر، يدعمه وصول تعزيزات قادمة من انجلترا والمانيا وهولندا 0 أما الإيطاليون من التجار فيرون أن السيطرة على مصبات النيل سوف تسلم لهم أنشط مراكز تجارة الشرق دمياط والإسكندرية بالأخص، أما الجنود البسطاء فلا يرون إلا الفوز المتوقع بالأسلاب [156]0 كما ساهمت عروض الملك الكامل للصلح – والتى رفضها المندوب البابوى أكثر من مرة – فى زيادة شقة الخلاف بين الفريقين، فجان دو بريين وأكابر المملكة الفرنسيون يريدون قبول مشروع اتفاق يعيد مملكة القدس وينهى الحملة الصليبية، والفريق الآخر يرى فى القتال الوسيلة الوحيدة للحصول على النصر والسيطرة على مصر كما ذكرنا، والنتيجة رحيل جان دو بريين إلى فلسطين وبقاء بيلاجيوس قائداً وحيداً للحملة 0 كذلك فشل المندوب البابوى فشلا ذريعاً فى القيادة، فلم ينجح فى التوصل تماماً للقضاء على المصادمات التى وصلت إلى حد

([1]) رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 302 0

([2]) عمران : المرجع السابق، ص 210–211 0

Duggan, A. : The Story of the Crusade (1079-1291), London, 1963, p.215.

([3]) ستامبولى : المرجع السابق، ص 126، بالار : المرجع السابق،ص 225 0

استعمال السلاح بين الفئات المتناحرة من القوميات المختلفة، ولم تجر السيطرة على هذه الفئات إلا بعد توزيع الغنائم عليها، والتى تمثلت فى إعطاء كل فئة حى فى دمياط[157]0 إضافة إلى ما تقدم، فالملاحظ أنه بعد جولات من الصراع لم يحقق الصليبيين شيئاً، بل خرجوا من دمياط يجرون أذيال الخيبة والعار، رغم التعزيزات العسكرية التى حصلوا عليها من أوربا، لكن تزايد الحسد والضغائن ودور المندوب البابوى أدى إلى غياب الانسجام والوحدة بين هذه المجموعات المختلفة، والمحصلة النهائية أن الفرنج فى بلاد الشام، المحصورين فى ممتلكاتهم الساحلية يبدون أكثر ضعفا حيال توحد الأيوبيين[158]0

أما حملة فريدريك الثانى التى تعرف بالحملة السادسة فقد تخلف عنها أزمة شديدة تسببت فى حدوث حرب أهلية داخل المملكة الصليبية وتوابعها، وكالعادة فلن نركز على تفاصيل الحملة، ولكن سنأخذ منها ما يتعلق بأزمة العلاقة بين فريقى القادمين الجدد والبارونات المحليين، وهنا نشير إلى أن البارونات المحليين قاوموا مقاومة شديدة محاولات فريدريك الثانى لضم الدويلات الصليبية إلى إمبراطوريته، فلم يكن لديهم أدنى استعداد للتخلى عن مصالح مجموعتهم مطلقاً[159]0

كان لكل فريق من الفريقين منطقه الخاص، ففريق البارونات يقرون مبدأ السيادة الذى يجب أن يستقر فيهم، ويستندون فى ذلك إلى قوانين مملكة بيت المقدس التى تعتبر ملك بيت المقدس ملكاً مقيداً بدستور، ولا يزيد كثيراً على أنه رئيس المحكمة العليا والقائد الأعلى، وبالتالى لا يمكن قبول قيام حكومة استبدادية عسكرية به، لأن المملكة فى النهاية مملكة بالغة الضآلة، إذ لم تزد عن كونها مجموعة من المدن والقلاع انتظمت سوياً فى وضع محفوف بالمخاطر، دون أن يكون لها حد يسهل الدفاع عنه، وبالتالى فلم يكن من اليسير إقامة حكومة مركزية بها، فالسلطات المحلية رغم ما بينها من احقاد أو ضغائن كان لابد أن تضطلع بالحكومة، وتخضع

([1])ماير : المرجع السابق،ص 320، بردج : المرجع السابق، ص 250 0

([2]) بالار : المرجع السابق، ص 226 0

([3]) ماير : المرجع السابق، ص 365–366، بردج : المرجع السابق، ص 252–254 0

لزعيم لبق محترم، وقد وقع اختيارهم آنذاك على جون الأول إيلين John Ibelin، أعظم شخصية بالشرق الفرنجى، اشتهر بالجاه والثروة، كان يملك مدينة بيروت، وزوجته وراثة إقطاع أرسوف، وقد اكسبته خلاله الشخصية احترام الناس، فما حازه من أصل عريق، وثروة وافرة وشخصية متكاملة، كل ذلك جعله لعشرات السنين، الزعيم الذى أجمع البارونات فى الشرق الفرنجى على قبوله، فهم الشرق وظروفه، وكان ذا إطلاع واسع، ودراية كاملة بتاريخ المملكة وقوانينها [160]، أما الفريق الآخر الذى يمثله فريدريك رغم معرفته بالشرق وظروفه من خلال عقليته وتعليمه وتدريبه فى صقلية، إلا أنه كان يميل إلى الحكم المستبد الذى ورثه عن أجداده الأجلاف فى صقلية، وعلى نحو ما ألفه الرومان والبيزنطيون، فكان هو مصدر القوة والقانون، وولى الله فى أرضه، فضلاً عما يضفيه عليه الحق الوراثى من مزايا، ومن هنا كان يرفض أن يسيطر على إمبراطور الرومان فئة قليلة من صغار البارونات [161]0

تزايدت المشكلة وظهرت أكثر وضوحاً عندما عين فريدريك الثانى شخص يدعى ريتشارد فلانجييرى Richard Flangiery نائباً عنه (1229–1243م/627–641هـ)، وليكون مندوبه فى الأراضى المقدسة، وهو عمل كان يعد سابقة خطيرة، ففى ظل قوانين المملكة رأى البارونات أنه يتحتم على الملك أن يقيم فى عاصمة ملكه، فإذا تغيب جعل مكانه نائباً عنه، وكان البارونات يريدون حنا إبلين فى ذلك، وبهذا تعقد الموقف بين فريدريك ورجالات الشرق اللاتينى إذ أنه بمجرد إرسال فريدريك لريتشارد فلانجييرى نائباً عنه فى المملكة، وحد جميع البارونات نفسهم فى معسكر واحد، وصارت الدولة منقسمة إلى فريقين، فى الجانب الأول أتباع الإمبراطور من الفرسان الألمان وانضم إليهم البيزيون والبارونات الخمس المطرودين من قبرص؛ وفى الجانب الآخر وقف ثلاثة وأربعون من كبار البارونات فى الساحل

([1])La Mont, op.cit,p.420.

([2]) لم يغفر البارونات للإمبراطور زرايته بالدستور، فرغم انه مجرد وصى، فقد عقد معاهدة دون رضاهم وموافقتهم، كما قام بتتويج نفسه، ووقعت مصادمات بين العساكر المحليين وحامية الإمبراطور. انظر: رنسيمان: المرجع السابق، ص 336، براور : المرجع السابق، ص 572 0

الشامى والجنويين وملك قبرص 0 وكانت بيروت وعكا مركزى المعارضة، حيث تكونت من نبلاء المدينة والأسر الكبيرة جماعة متفاهمة حتى النهاية اتخذت من حنا إيلين قائداً لها فى عام 1232م/630هـ، وباعتبار أنه أكثر الشخصيات تهديداً لرجال الإمبراطور أصبح روحاً للحركة[162] 0

وبعد تولى فلانجييرى بالفعل احتل صيدا وصور، وأعلن مصادرة أملاك إيلين0 ويبدو أنه كان رجلا عنيفاً متهوراً يستند إلى جيش قوى يتألف معظمه من اللومبارديين الذين جلبهم معه 0 وقد حاولت العناصر المعتدلة التوسط للوصول إلى صيغة تفاهم بين الفريقين لإنقاذ المملكة من الهاوية السحيقة التى ستأخذها إليها الحرب الأهلية، لكن دون جدوى[163] 0

على أية حال قامت الحرب بين الفريقين، حيث حدثت معركتين، الأولى شمال صور فى قرية تسمى أمبرت 1232م/630هـ، انتصر فيها فلانجييرى بجحافله، والثانية كانت فى قبرص فى مكان يسمى أجريدى، وانتصر فيها آل ابلين وأتباعهم، لكنها لم تحقق انتصاراً ساحقاً، فصار الوضع كما هو إلى مزيد من الفوضى [164] 0

([1]) اثناء مرور فريدريك فى طريقه إلى ميناء عكا فى الأول من أبريل 1229م مغادراً الأراضى المقدسة، وفى شارع الجزارين الذى تعين عليه عبوره، كان الشارع مزدحماً بالناس الذين أطلقوا أصوات استهجان، ورجموه بقطع من الروث وكتل من الفضلات، وهناك سارع البارونات للقضاء على هذا الشغب، وعلى رأسهم يوحنا ابلين وأودو مونتبليارد، لكن فريدريك علم أن وراء وجوههم الرقيقة وابتسامتهم المهذبة كراهيتهم له، وعندما ودعوه وداعاً لطيفا شتمهم وجهاً لوجه. انظر : Ernoul, op.cit,p.466, Les Gestes de Chiprois, p.50.

([2]) كان على رأس هذه العناصر المعتدلة باليان سيد صيدا، وجارنييه الألمانى، والبطريرك ومقدمى الداوية والاستبارية0 انظر : رنسيمان: المرجع السابق، ج3، ص 348 0

([1])La Mont, The lords of Caesarea in the period of the Crusades,in spec,Vol.XXII, 1947, p.157. رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 348، 352، بالار : المرجع السابق، ص 177 0

حاول فريدريك الثانى تهدئة الأوضاع بتعيين نائباً محلياً عنه، لكن أمله خاب، نظراً لأن فيليب موجا ستيل Philippe Mogastel الذى عينه كان مجرد شاب مخنث أسفرت صلاته بفلانجييرى عن فضيحة [165]0

حاول البابا أيضاً حل المشكلة فأجبر على تعيين فلانجييرى نائبا عن الإمبراطور، على أن يساعده أودو مونتبليارد Odo Montbliord حتى شهر سبتمبر 1236م/634هـ ريثما يتم تعيين بوهمند أمير أنطاكية نائباً عنه، وأصدر أمراً بالعفو عن كل البارونات ما عدا آل إبلين الذين يجب أن يمثلوا أمام المحكمة كما رأى ضرورة حل قومون عكا[166]0

لكن لا البارونات، ولا قومون عكا قبلا هذه الشروط المجحفة بل تجاهلوها، لكنهم صعقوا حين مات جان دو إبلين فجأة إثر حادث تعرض له أثناء ركوبه 0 لكن البارونات أصروا على مقاومة استبداد فريدريك، ورغم سلامة موقفهم، إلا أنه أدى إلى شيوع مزيداً من الفوضى والاضطراب فى البلاد، وجعلها صفة مشروعة [167]0

هكذا تسببت الحملة السادسة – رغم نجاحها النسبى – فى تحسين أوضاع الصليبيين فى الشرق – من خلال المكاسب التى حققها الإمبراطور فريدريك باتفاقه مع الملك الكامل فى إتفاقية يافا 1229[168]، إلا أنها تسببت فى اشتعال الصراع بين الفريقين (فريق المستوطنين وفريق القادمين الجدد) ليتعقد الصراع وتزداد أزمة العلاقة بينهما استحكاماً0

هناك بعض الأزمات الأخرى التى آثارها القادمون الجدد من الصليبيين لبارونات الشرق الفرنجى، سنعطى عنها نبذة مختصرة 0

([2]) رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 352 0

([3]) Les Gestes des Chiprois, pp.112-113.

([4]) بردج : المرجع السابق، ص 255، رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 358 0

([5]) عن تفاصيل المكاسب التى حققها الصليبيون من خلال اتفاقية يافا 1229. انظر : ابن الأثير : الكامل، ج12، ص 482، وانظر أيضا ماير : المرجع السابق، ص 338 0

ففى عام 1239م/637هـ وصل ثيبو الرابع كونت شمبانى Thibaut IV Conte Champagne إلى عكا، احتشد معه جيش مكون من من ألف فارس، كان يضم عدداً كبير من الفرسان القادمين، وبعض أفراد جيش البارونات المحليين، وفى هذا الصدد أراد ثيبو تحقيق بعض الإنجازات، فلم يستمع للبارونات المحليين الذين أوصوا بتوجيه الحملة إلى مصر، أو الآخرين الذى أوصوا بتوجيه الحملة إلى دمشق وتحصين قلاع الجليل(169)0

خرجت الحملة من عكا فى نوفمبر 1239م قاصدة الحدود المصرية، وهنا لعب الطمع والجشع بعقول القادمين الجدد إذ نجح كونت بريتانى فى الإيقاع بقافلة إسلامية وافرة الثروة كانت فى طريقها إلى دمشق، وأوقع بها فى كمين عند عبورها نهر الأردن، ولقى هذا النجاح ترحيباً كبيراً من الصليبيين لأن مؤونة الجيش كانت قد قاربت على النفاذ، لكن هذا النجاح أيضا آثار غيظ وضيق هنرى كونت بار Henri conte Bar ، فأصر على الخروج لملاقاة المصريين للحصول على الشرف والغنيمة0 ولما كان الجيش المصرى المقابل له هذه المرة أقوى وأكثر تسليحاً فقد نصحه ثيبو والبارونات المحليين أن يتريث وأن يعود بالعسكر، لكنه رفض واتهمهم جميعاً بالجبن، ودفعه غروره وحمقه إلى أن يأمر باستراحة جيشه فى منخفض بين التلال الرملية على ساحل البحر، لينالوا قسطاً من الراحة، وهنا أوقع بهم الجيش المصرى لولا كونت يافا الذى نجح فى سحب الكثير من الجنود 0 لكن النتيجة النهائية كانت هزيمة كبيرة لكونت بار لقى على أثرها مصرعه، وقتل معه ألفاً من جنوده، كما أسر منهم ما يزيد على ستمائة جرى نقلهم إلى مصر، ولما حاول ثيبو أن يتدخل لإنقاذ ما تبقى من الجيش منعه فرسان الشرق الفرنجى، ولم يغفر لهم ذلك أبداً، على

([1]) رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 372، ولقد أطلق عليها المؤرخ ستامبولى "صليبية البارونات" انظر ستامبولى : المرجع السابق، ص 230 0

الرغم من أنه لم يكن بمقدوره فعل شيئ، لأن الجيش تحرك بعد أن تضاءل عدده إلى عكا(170) 0

وهكذا لم تحقق حملة ثيبو كونت شمبانى شيئاً يذكر، اللهم إلا إضعاف موقف الصليبيين أكثر وأكثر، وإذا كانت المعركة السابقة التى خسرها الصليبيون تسمى معركة غزة الأولى، فقد تعرضوا لخسارة اشد وأنكى فى معركة غزة الثانية 1244م/642هـ، حيث كانت الخسارة فيها فى القوة البشرية قد جعلت قلاع الشرق الفرنجى فى حالة يرثى لها، ولم يفق هذه المعركة فى الخسائر سوى معركة حطين، لكن ما يعنينا هنا أنه على الرغم من نجاة إمارة أنطاكية من آثار هذه الهزيمة والخسارة بسبب علاقتها الطيبة بالبابوية عن طريق لوسيين سيجينى Lucienne Sinsigine الإيطالية زوجة أمير أنطاكية بوهمند الخامس Bohmend V، (1233−1251م/631−649هـ) إلا أن أقارب وأصدقاء زوجة الأمير الإيطالية والذين دعتهم للقدوم إلى الشرق أزعجوا بارونات أنطاكية وسببوا لهم الكثير من المتاعب(171) 0

أما حملة لويس التاسع الفاشلة، وبقاؤه فى الشرق الفرنجى ست سنوات بعيداً عن مملكته، فلم ينجم عنها سوى نتيجة هامة مؤداها : أن المملكة الصليبية فى القدس لم يعد بوسعها انتظار شيئ من الغرب غير المبالى بمصيرها، وعليها أن تهتم بقواها الخاصة وتعتمد عليها، بيد أنها غرقت فى صراعات حزبية عقيمة بعد ذلك(172)، وبالتالى أصبحت مسألة الدعوة إلى القيام بحملة إلى الشرق مسألة شاقة، بينما تهيأت الفرص لنيل كسب روحى بالقيام بحملات أخرى أقل مشقة، فتحولت إلى

---

(1) لم يستطيع ثيبو السيطرة على رجاله الذين كان كل همهم المغامرة والحصول على أكبر قدر ممكن من الغنائم، فتجاهلوا هدف الحملة الأصلى وهو السيطرة على عسقلان، انظر :
Les Gestes des Chiprois, pp.118-120, Eracles, pp.414-15.
وانظر أيضا : أبو شامة : الذيل على الروضتين، راجعه عزت الحسينى، ط2، بيروت 1974، ص 170

(2) رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 401 0

(3) بالار : المرجع السابق، ص 240، رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 445، 474، بردج: المرجع السابق، ص 266 0

رحلات تبشيرية اعتقد أصحابها أن الكلمة أقوى فى التأثير من السيف، كما يقول رنسيمان–، فماتت الفكرة الصليبية، وصارت نسياً منسياً [173] 0

الحديث السابق عن الأزمات التى تسبب فيها القادمين الجدد من الصليبيين للفرنج البلديين، وأثره على تعقد العلاقة بين الحزبين يجرنا إلى الحديث عن الأسباب والعوامل التى يمكن استخلاصها مما سبق والتى أدت إلى تحول التنافس إلى صراع وعداء بين طرفى المشكلة مما عمق أزمة العلاقة بينهما 0

لم يكن من السهل توحيد هذين الفريقين فى وجهة نظر واحدة إزاء الأخطار المحدقة بكيانهم، وكان الأمر الواضح أنهما سيظلا فى غالب الأحيان على طرفى نقيض[174]، فالمؤرخين المعاصرين للأحداث كما يقول "هاملتون جب" "صاغوا وجهة نظرهم بالتركيز الشديد على مسألة الإنقسام وتبعاتها، وأن هناك حزبين أو جماعتين إحداهما تمثل الشياطين أو الأشرار والأخرى تمثل الأبطال"، ورغم المحاولات الجادة التى ابداها وليم الصورى والمؤرخون المكملون له، وكذلك إرنول والحوليات الأخرى لتقديم تفسيرات لنشوء العداوة والصراع بين الفريقين، إلا أن الصورة تبدو ضبابية وغير واضحة المعالم، لأنها ارتبطت عند هؤلاء المؤرخين بقضية الولاء الشخصى، والأحقاد والعداوات والتى غالباً ما املت سلوك التشيع والموالاة لأحد الفريقين دون الآخر [175] 0

بيد أننا سنحاول جاهدين تلمس أسباب العداوة والصراع بين فريق القادمين الجدد، المحب للمغامرة والحرب، والهجرة، والطامح للفوز بالثروة والجاه، والمستقبل الطيب، وبين الحزب الآخر، حزب المستوطنين أو بارونات الشرق الحريص على استخدام الحكمة، وتبنى سياسة دفاعية حكيمة هدفها الحفاظ قدر الإمكان على ما تحقق من أهداف ومن رخاء اقتصادى، وحياة اجتماعية مستقرة إلى حد ما، والحريص كل الحرص على توازن القوى بين الدويلات الصليبية وبين المسلمين 0

([1]) رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 580، 582 0

([2]) ماير : المرجع السابق، ص 129 0

(3)Gibb,H.:The decline and fall of Jerusalem,1179-1189, in setton, vol.I, Phildelphia, 1958, pp.591-592.

يمكن تقسيم أسباب العداوة والصراع بين الحزبين إلى ثلاثة أقسام إحداها يخص القادمين الجدد، والثانى يخص الفرنج المستوطنين، والثالث يخص العلاقة بين الطرفين0

فيما يتعلق بداية بالأسباب التى تخص القادمين الجدد، يمكن أن نشير إلى أن غلبة الطابع اللصوصى لبعض القادمين الجدد، كان أحد اهم الأسباب الموجبة للعداوة بين الفريقين وكان أبرزهم فى هذا الخصوص أرناط أورينو دو شاتيون الذى اعتاد على مهاجمة القوافل الإسلامية وسلبها وتدمير السلام بين المسلمين والصليبيين [176]، وكذلك ما فعله أفراد حملة 1197م/594هـ من الألمان من سلب ونهب فى عكا [177]، بينما حول الجشع الكثير من القادمين فى الحملة الخامسة إلى لصوص [178]0 كذلك كان من هذه الأسباب أيضا تدنى أخلاق كثير ممن قدم من الصليبيين، وتشبع روحهم بالجشع والطمع الذى كاد يسلب السكان المستوطنين من الفرنج كل ما يملكون، والأدلة على ذلك كثيرة ومتنوعة، نذكر منها فقط ما حدث من صدام بين أهالى عكا

([1]) فى نوفمبر 1160م/556هـ، كانت الحركة الموسمية لقطعان الأغنام من جبل اللكام إلى سهل نهر الفرات قد أغرت رينو دو شاتيون على الإغارة على هذه المنطقة، وأثناء عودته ساهمت قطعان الماشية والإبل والخيول التى كان يسوقها أمامه فى بطئ حركته، فوقع فى كمين نصبه له أمير حلب مجد الدين، ورغم استبسال رينو فى القتال إلا أن القوات الإسلامية تفوقت فى عددها على عدد رجاله، فأحاطوا به وأسقطوه عن جواده وأسروه، حيث ارسل هو ورجاله مقيدين بالحبال إلى حلب، ليظل فى الحبس مدة ستة عشر عاماً، جزاء لصوصيته. انظر، ابن الأثير : التاريخ الباهر، ص 109، ولیام الصورى : المصدر السابق، ج2، ص 868–869 0 وانظر أيضا، ماير : المرجع السابق، ص 71، رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 577 0

([2]) أشار صاحب ذيل وليم الصورى إلى قيام فرسان حملة 1197 من الألمان إلى إخراج أهالى عكا من ديارهم واغتصابها، حتى أن الفرسان البلديين الذين كانوا قد خرجوا للقتال عندما عادوا وجدوا منازلهم وقد احتلت، ونساؤهم وقد أخرجن من بيوتهن، وحل محلهن الألمان فاستشاط الأهالى غضباً وأخبروا الكونت هنرى بما حدث، الذى استشار بدوره صاحب طبرية الذى صمم على ضرورة ردع الألمان ومحاربتهم. للمزيد انظر : ذيل وليم، ص 274، وانظر أيضا، ماستناك : المرجع السابق، ص 271، رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 178–179 0

([3]) حسين عطية : المرجع السابق، ص 24 0

والقادمين الجدد فى عام 1191م/587هـ، حينما قام الفرسان الجدد بالسيطرة على منازل السكان الأصليين بعد استعادة عكا من صلاح الدين، وحينما طالب السكان بمنازلهم قالوا لهم أن هذه المنازل والدور لهم بحق الغزو 0 وهنا دار حوار بين ملك فرنسا وريتشارد قلب الأسد فى هذا الموضوع، انتهى إلى قيام الفرسان الجدد برد الدور إلى أصحابها الأصليين بشرط أن يقوم أعيان البلاد باستضافة هؤلاء الفرسان طول مدة مقامهم فى البلد (179)، يضاف إلى ما سبق ذكره أن كثرة من قدم إلى الشرق من المجرمين والشواذ وبعض المحكوم عليهم فى جرائم والذين جاءوا بحجة التكفير عن خطاياهم، ولم يروا فقط غير أنفسهم، أذاق المستوطنين من الفرنج البلديين مرارة شدتهم، وكل الإشارات التى أوردتها المصادر الغربية فى الحملات الأولى أو الثالثة أو الخامسة أو السابعة تدل على تفشى الفجور والفواحش والسرقات والسكر والخلاعة باعتبارها صفات متأصلة فى كل من قدم من جنود أو قواد صليبيين من الغرب الأوربى(180)0

وقد اتسم طابع معظم هؤلاء القادمين بالعنف، ونفاذ الصبر، والشعور الوحشى بالقوة، وعلى الجملة السلوك البربرى بكل ما تعنيه الكلمة من معنى 0 لذا فقد كان الفارق واضحاً بين هؤلاء وبين الفرنج المستوطنين وهو الفارق الذى لاحظه بوضوح المؤرخون المسلمون مثل أسامة بن منقذ الذى عبر عن ذلك بقوله "كل من كان قريب

([1]) انظر إلى تفاصيل هذا الحوار فى ذيل وليم الصورى، ص 209–210 0 وانظر أيضا : حسين عطية، المرجع السابق، ص 21–22

([2]) فوشيه دو شارتر : المصدر السابق، ص 243 ، وكذلك :

Richard of Devizes, Crusade of Richard Coeur de lion, in Chronicles of the Crusades, London, 1898, pp.47-48.

أنا كومنينا : المصدر السابق، ص 390–391 0 ويشير استامبولى إلى أن عكا كانت مكاناً خطيراً يأوى القتلة الذين يشكلون الفئة الغالبة من السكان، وكان يتجمع بها أيضا حثالة البحر المتوسط الذين استغلوا الحروب الصليبية على أمل البدء فى تكوين ثروات وحياة جديدة، انظر : استامبولى : المرجع السابق، ص 61 0 وكذلك : Holmest, op.cit,p.3.

عهد بالبلاد الفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين تبلدوا وعاشروا المسلمين" [181]، بل وصفهم المؤرخ ابن واصل أيضا بالغرباء [182]0

ويرى بعض المؤرخين أن ذلك لم يكن غريباً خاصة وأن البابوية حاولت أن تجعل من كل الصليبيين حجاجاً، ومن هنا أصبح السلوك البربرى للفرنج فى آسيا الصغرى، أو فى بلاد الشام عملاً من أعمال التقوى والورع [183]0 كذلك كان من ضمن أسباب العداوة ذلك التعصب الدينى المقيت الذى غلب على سلوك القادمين الجدد أو ما يمكن أن نطلق عليهم هنا "إفرنج الحملات" [184]، وهو التعصب المرتبط بروح التعصب الذى ساد الغرب الأوربى بصفة عامة خلال العصور الوسطى،

([1]) يروى أسامة بن منقذ قصة حدثت له فى هذا الصدد حيث يقول "فمن جفاء أخلاقهم قبحهم الله، أننى كنت إذا زرت بيت المقدس، دخلت إلى المسجد الأقصى، وفى جانبه مسجد صغير قد جعله الفرنج كنيسة 0 فكنت إذا دخلت المسجد الأقصى وفيه الداوية وهم أصدقائى يخلون إلى المسجد الصغير لأصلى فيه، فدخلته يوماً فكبرت ووقفت للصلاة، فهجم علىَّ واحد من الإفرنج مسكنى ورد وجهتى إلى الشرق وقال "كذا صل" فعاد الداوية دخلوا إليه وأخرجوه عنى، وعدت أنا إلى الصلاة، فاغتفلهم وعاد هجم علىَّ ذلك بعينه ورد وجهى إلى الشرق وقال "كذا صل" فعاد الداوية دخلوا إليه وأخرجوه، واعتذروا إلىَّ وقالوا "هذا غريب، وصل من بلاد الإفرنج هذه الأيام، وما رأى من يصلى إلى غير الشرق" فقلت "حسبى من الصلاة" فخرجت، فكنت اعجب من ذلك الشيطان، وتغيير وجهه ورعدته، وما لحقه من نظر الصلاة إلى القبلة 0 انظر ابن منقذ : المصدر السابق، ص 134، 135 0

([2]) ابن وصل : المصدر السابق، ج1، ص 140 0

([3]) ومن غريب ما يروى فى هذا الخصوص أن البابا أنوسنت الثالث قام بإرسال صغار النبلاء والمغامرين من جميع الفئات المحكوم عليهم فى جرائم حرب إلى الأراضى المقدسة، مما أدى إلى تطهير المجتمع فى أوربا من هذه الفئات بينما صار الوضع فى الشرق عكس ذلك تماماً، حيث طلب منهم وشجعهم على سرقة ونهب كل ما هو نفيس من المسلمين، وبعد القيام بعمليات السرقة والنهب يمنحهم بركاته، وهكذا يكسبون الجنة، انظر ستامبولى : المرجع السابق، ص 51، وفى هذا الخصوص يشير دوكانج إلى القادمين الجدد باسم الحمقى أو الأبناء الحمقى Filios Hernaude بسبب طيشهم وإفراطهم فى المسكرات0 انظر : Ducange, op.cit,p. 55.

([4]) يفضل الدكتور حسين عطية أن يطلق هذه التسمية المذكورة على القادمين الجدد، انظر حسين عطية، نفس المرجع، ص 44، ماير : المرجع السابق، ص129 0

وخاصة أن هذا المجتمع كان يقوده رجال مثل برنارد أسقف كليرفو، وهو مجتمع يتباهى ببربريته وفظاظته وسذاجته الدينية ويرى فيها كل فضائله، مجتمع يرتبط بالتنشئة العسكرية الصارمة التى تغرس فيهم صفات الشجاعة والإقدام وقوة التحمل، مع تغليف كل ذلك بحالة من حالات التدين العاطفى، الذى يجعل الفارس أسير عاطفة دينية جياشة، ولو أنها مشوبة بالاعتقاد فى الخرافات والغيبيات، بفعل سيطرة البابوية والكنيسة على الحياة فى اوربا فى ذلك الوقت، وهناك من المصادر العربية من أثبت مدى تأثير الكنيسة فى هذا الجانب وعلى هذا التدين العاطفى فى سلوك هؤلاء القادمين الجدد من الغرب الأوربى[185]0

هذا التعصب الدينى جعلهم يتسمون بالقسوة والوحشية التى بدت بشكل واضح فى المذابح التى أنزلوها بالمسلمين وخاصة خلال الحملة الصليبية الأولى لكن الغريب أن يستمر مسلك هؤلاء القادمين الجدد بنفس الطريقة طيلة سنوات الحروب الصليبية فى الشرق، وأبرز دليل يثبت هذا الكلام ما حدث قبيل سقوط عكا النهائى 1291م/690هـ ، عندما جاء بعض القادمين الجدد من الإيطاليين، الذين كانوا فى غاية الشوق لقتل كل مسلم ومسلمة من اجل محبة الرب، وقد أغاظهم تعامل السكان البلديين مع المسلمين وتبادلهم المتاجر معهم، فقاموا بإهانة هؤلاء السكان البلديين فى الطرقات، وسكروا وعربدوا طوال الأمسيات، وعندما مضت على وجودهم ثلاثة أسابيع قاموا بأعمال شغب فى المدينة فقتلوا كل شخص بدا لهم أنه مسلم، ودب الذعر فى رجال ونساء المدينة، كما روع قادتهم، ورغم نجاح المسلمين فى إخفاء بعض ذويهم، إلا أن العنف إزداد والمذابح كثرت، وعند انتهاء هذه الأزمة اعتقل بعض قادة الفتنة وعذبوا ، لكن الدمار قد تم، وعندما أخبر السلطان قلاوون الألفى (1280- 1290م/679-689هـ) بذلك، قرر أن الوقت قد حان لرمى الفرنج فى البحر، فكان

([1]) يشير ابن القلانسى ان الصليبيين كانوا يأخذون معهم كنيسة متنقلة فى تحركاتهم العسكرية..انظر ابن القلانسى:ذيل تاريخ دمشق، ص 213 0وانظر أيضا: قاسم عبده قاسم: صورة المقاتل الصليبى فى المصادر العربية، المجلة التاريخية المصرية، العدد 27، لسنة 1981، ص 17

سحق عكا بعد ذلك بقليل أيام الأشرف خليل بن قلاوون (1290-1294م/689-694هـ)[186] 0

أما فيما يتعلق بأسباب العداوة بين الفريقين- المرتبطة بالفرنج المستوطنين فيمكن إجمالها فيما يلى : طابع الحذر والاحتراس المبالغ فيه من جانبهم حيث لم يرغبوا فى دخول معارك إلا إذا كان نتائجها محسومة لصالحهم، بعكس الفريق الآخر المتشبع بالحماسة والتعصب ضد المسلمين – كما ذكرنا – وهى أمور ساهمت فى تأجج مشاعر الصراع وتزايد المشاكل بين الحزبين، وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى طابع الحذر والاحتراس هذا عند الصليبيين البلديين، الذين كانوا يميلون إلى القيام بعمليات عسكرية محدودة، ويبحثون عن النصر السريع السهل متوسلين إلى ذلك بالحيلة والخداع[187] 0

ويرى نفر من المؤرخين إمكانية تبرير هذا الحذر فى ضوء طبيعة الوجود الصليبى ببلاد الشام، إذ أنهم واجهوا عدة مشاكل عسكرية تكتيكية واستراتيجية فرضت عليهم المبالغة فى الحذر والحيطة، كما أنهم كانوا يسعون إلى تحقيق أهداف محدودة مثل الاستيلاء على بعض المناطق ذات الأهمية الدينية البالغة بالنسبة لهم، ولذلك نهجوا نهجاً دفاعياً فى حروبهم بعد الجيل الأول [188]، كذلك لطبيعة مصالحهم فى ظل التعايش السلمى مع المسلمين، عارضوا وصول الوافدين الجدد من الصليبيين، ذلك لأن الحرب ستؤدى إلى اضطراب شئونهم، وتعطل مصالحهم التجارية مع المسلمين[189]؛ كما أنهم لم يتوانوا عن تأكيد عدم واقعية فكر المحاربين الذين أتوا من بلاد بعيدة اعتقاداً منهم بأنهم سوف يحصلون على كل شئ بقوة السلاح، دون أن

([1]) المقريزى : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1970، ج1، ق3، ص 1003-1004، انظر أيضا بردج : المرجع السابق، ص291 0

([2]) يقول ابن منقذ ما نصه "وهم ...أكبر الناس احترازاً فى الحرب" 0 انظر : أسامة بن منقذ : المصدر السابق، ص 17 0

(3) قاسم عبده قاسم : صورة المقاتل، ص 28 0 Gibb, H., op.cit, p. 592.

(4) الحويرى : المرجع السابق، ص 81، استامبولى : المرجع السابق، ص 59 0

يهتموا بمعرفة أى شئ عن البلاد التى سوف يغزونها [190]0 كذلك ساهم شعور الفرنج المستوطنين بأن القادمين الجدد غرباء عنهم فى كل شئ [191] فى رفضهم الدخول فى تبعية هؤلاء المغامرين ومقاومة روح الجشع والطمع التى ميزت سلوكهم، فقد شعروا بأنهم بمنأى عن أية وصاية مهما كانت، لكن هذا لا يعنى أنهم قطعوا صلتهم بوطنهم الأم أو الأصلى أوربا، كما أنه لا يعنى أيضا عدم تفكير بعض الأسر التى تولت الحكم فى أى نوع من الوصاية، بل مارس بعضها بالفعل تلك الوصاية، وذلك لن أول معطى فرضته الجغرافيا أن الشرق اللاتينى كان ضعيفاً وهشاً ومحاطاً بالأعداء[192]0 يرتبط بالعامل السابق عامل آخر مهم هو ظهور الاتجاهات الوطنية لدى الفرنج المستوطنين، وهو الأمر الذى جعلهم أكثر حرصاً على حياتهم ومستقبلهم0 وزاد من إحساسهم بالانتماء إلى الشرق الفرنجي، ما خلقوه من روابط اسرية أوجدت عائلات مغلقة لم تسمح لأى قادم جديد أن يدخل إليها أو يصاهرها، ومعظمها من العائلات الغنية 0 ولذلك فقد رفضوا تماماً نوايا القادمين الجدد فى منازعتهم الأوضاع التى كسبوها فى الشرق ومشاركتهم فيها بدعوى إغاثتهم،

([1]) قبل سقوط عكا بفترة وجيزة كان بارونات الشرق يرفضون بشكل واضح ما تنطوى عليه الحرب من ارتباك واضطراب، ولذلك لم يعجبهم ما قام به بعض القادمين الجدد من الإيطاليين وما أحدثوه من مذابح بالسكان من المسلمين وغيرهم، إذ كانوا يجوبون الضواحى وقتلوا كل من له لحية اعتقاداًً منهم أنه مسلم، فما كان من البارونات المحليين إلا أن وشوا بهؤلاء إلى رجال السلطان المملوكى الأشرف خليل بن قلاوون، وأوضحوا له أن ما فعل ذلك بالمسلمين هم الفرنج من الغرب أو الوافدين الجدد، فكان ذلك من اكبر الأسباب التى أوجبت فتح عكا 0 للمزيد من التفصيل حول هذه الواقعة0 انظر : Les Gestes de Chiprois, p. 238.

المقريزى : السلوك : ج 1، ق3، ص 753-754 0 وأيضا الحويرى : المرجع السابق، ص 111، رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 688، ستامبولى : المرجع السابق، ص 60 0

([2]) يكره أرنول الصليبيين الجدد ويعتبرهم متعطلين حمقى خاصة الألمان، الذين عجزوا عن فهم أى شيئ عن عقلية أهل الأرض وعاملوهم بعجرفة ورعونة، ومن موقع السيادة والتسلط0

انظر : Ernoul, op.cit,pp.221-222.

([3]) كاهن : المرجع السابق، ص 125 0

فاعتبروهم دخلاء وأجانب، وصارت الكراهية لهؤلاء الغرباء عاملاً مشتركاً مثلما حدث فى مقاومة مناسيس دى هيبرج كندسطبل الملكة ميلسند، وأكثر الناس حظوة عندها، وما حدث من مناوأة ثييرى دو فلاندر، أورينو دو شاتيون أوميلون دو بلانسى، وآل لوزينان وغيرهم(193) 0

يأتى بعد ذلك أهم عامل تحكم فى سلوك الفرنج المستوطنين وخلق مشاكل لا حصر لها مع الوافدين الجدد، وهذا العامل يتعلق بالتغيرات التى حدثت لهؤلاء المستوطنين فى السلوك والتصرفات وطريقة الحياة، من خلال بقائهم واستقرارهم فى الشرق، وهى تغيرات أبرزتها بعض المصادر اللاتينية والمصادر العربية سواء بسواء(194)، وسنذكر منها الكثير من الأمثلة التى توضح هذا التغير الذى لم يكن أبداً على هوى الوافدين الجدد0

فقد ظهرت تغيرات فى الفكر والثقافة، وهى تغيرات تعود إلى معاشرة العرب المسلمين، وتبادل الحديث مع رجال من ذوى العلم والثقافة منهم، فتحول كثير من فرسان الغرب الذين أتوا بخشونتهم وفظاظتهم إلى رجال مهذبين ذى ثقافة وعادات طيبة0

لقد كان بلدوين الأول مثلاً قساً فى شبابه مثقفاً، بينما شغف عمورى الأول بالقراءة وولع بدراسة القانون والتاريخ، وهو الذى طلب من وليم الصورى كتابة تاريخ للصليبيين(195)، كذلك كان حنا إبلين نموذجاً للبارونات المتحضرين من الجيل الثانى، راعياً للفنون، مهتماً بالأدب، دارساً عظيماً للقانون (196)0

([1]) العرينى : المرجع السابق، ص 49، ماستناك: المرجع السابق، ص 252، رنسيمان : المرجع السابق، ج3، ص 654 0

([2]) أسامة بن منقذ : ص 137–138، فوشيه دو شارتر : المصدر السابق، ص 316، انظر أيضا : Lamb, H. The Crusades, New York, 1930, p.56 .

([3]) Longnon, J. Les Francais d'Outremer, Essai sur l'expansian Francaise dans le bassin de Medierranee, paris, 1929, p.143.

([4]) الحويرى : المرجع السابق، ص 219 0

وكان همفرى دى تورون يجيد العربية بطلاقة، وعمل كمترجم بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد، كذلك كان هناك رينوسيد صيدا، وبلدوين إبلين يتكلمان العربية أيضا [197]، وهذا الأمر يحتاج إلى وقفة لتبيان مدى وحجم تأثير الفكر الإسلامى على هؤلاء الصليبيين المستوطنين، ومدى عدم تأثر الفرنج العابرين به، فإذا كان الفرنج البلديين قد استخدموا وفضلوا الأطباء العرب فى علاجهم أفلم يستخدموا معلمين عرب أيضا[198]0

تغيرات فى وسائل الراحة ووسائل الترفيه والتسلية ومن أشهرها عند الفرنج المستوطنين إرتياد الحمامات الشرقية، وسماع المغنيين، ومشاهدة الرقص، وعرض المسرحيات، وكذلك لعبة النرد التى انتشرت بشكل كبير، وكان يلعبها بلدوين الثالث طوال الوقت0 وفى أنطاكية جرى حمل صناديق النرد خلال القيام بغزوات أو غارات ضد المسلمين، كذلك زاول الأمراء الصيد بالباز على الطريقة العربية، وكان الصيد من التسليات المفضلة لديهم وهو نفسه الذى جعل الصداقة تنشا بين أسامة بن منقذ وغيره من الأمراء الصليبيين [199]0 كذلك عرف الصليبيون صيد الثعالب والصقور والأسماك وغيرها، كما عرفوا سباقات الخيول وما كان يحدث بها من أنواع الترف، كذلك عرفوا قيام العازفون والملحنون المتجولون بأداء عروضهم وكانت أدوار التقليد

([1]) يشير هولمست إلى أن الفرنجة من الجيلين الثانى والثالث ممن عاشوا فى الأرض المقدسة قد تحدثوا العربية العامية أكثر من حديثهم بالعامية الأوربية، وذكر من المترجمين بجانب ما ذكرنا ايفيس لى بترون Ivis le Batron ونيكولاى حاكم عكا Nicolas de Acre كما نجح ستيفن الأنطاكى فى عام 1217 فى ترجمة أعمال الطبيب العربى على بن العباس إلى اللاتينية 0 انظر :
Holmest , U.T, op.cit, pp. 21-23.

([2]) أسامة بمن منقذ : ص 138، وانظر أيضا : حسين عطية : المرجع السابق، ص 72 0

([3]) أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص134وانظر أيضاً سميل : المرجع السابق، ص 85 ، وكذلك : Holmest, U.T., Op.cit,p.18.

والتهريج تؤدى فى الساحات المفتوحة بحيث يحضرها الشعب، كما كان هناك بائعات الهوى اللائى انتشرن فى شوارع كل مدينة[200] 0

أما التغييرات فى البيوت والمنازل والنواحى الصحية؛ فمع مرور السنين أصبحت منازل الفرنج المستوطنين مترفة إلى حد الدهشة، التى أصابت القادمين الجدد من الغرب، فقد كانت بعض البيوت مفروشة بالسجاد الفارسى والستائر الدمشقية، وكانت الأرضيات من الموازييك، حتى الجدران رصعت بالرخام، وانتشر الأثاث المحفور من العاج، ومن الخشب النادر، وكانت الموائد تزين بأدوات من الفضة أو البورسلين الصينى المجلوب مع القوافل القادمة من الشرق، وفى بعض المدن الشمالية حيث المياه متوفرة كانت المنازل الكبيرة تحتوى على حمامات خاصة[201] 0 كذلك تميز الفرنج المستوطنين بأنهم كانوا أكثر نظافة من وطنهم فى أوربا، واستفادوا من التقدم الطبى لدى المسلمين بفضل تفوق أطباء المسلمين عليهم، فقد كان طبهم بدائيا غريباً كما أشار أسامة بن منقذ [202]، ومن الجدير بالذكر أن بعض الأطباء من أبناء البلاد الأصليين سواء من المسلمين والمسيحيين الشرقيين، هم الذين عالجوا عمورى الأول فى مرضه الأخير، لذا اتخذ عمورى الأول من سليمان بن داود وابنه الأكبر أطباء له، بينما كان الإبن الثانى لسليمان مروضاً لخيول الملك أو سائساً لها 0 كذلك اتخذوا الخدم والمربيات الوطنيات لرعاية أطفالهم[203] 0

وأخيراً كانت تغييرات المأكل والملبس متنوعة، فقد كان الفرنج المستوطنين أفضل طعاماً من الوافدين الجدد، فلم يكن طعامهم غنياً ومتنوعاً فحسب، بل كان

([1]) أسامة بن منقذ، المصدر السابق، ص 67، 68 0 انظر أيضاً : انتونى بردج : المرجع السابق، ص 124 ، الحويرى: المرجع السابق،ص 79–80

([2]) باركر : المرجع السابق، ص 69، بردج : المرجع السابق، ص125 0

([3]) أورد اسامة قصصاً عن طب الإفرنج تنم عن الجهل المطبق، ومنها استعمال الشمع لعلاج مريض كان مشرفاً على الموت، وتم استخدام الشمع فى سد انفه وفمه، فمات لساعته، انظر : أسامة بن منقذ، المصدر السابق،ص 137–138 0

([4]) رنسيمان : المرجع السابق،ج 2، ص 506–507 0

يطبخه السكان المحليين البارعين 0 وقد حفلت موائدهم بصنوف الدجاج وطيور السمان والحجل والحمام، وكذلك لحوم الضأن والبقر والوعل والغزال والأرانب، وكلها كانت تطبخ مع الثوم والبصل والأعشاب الطبية وتتبل مع الخردل والفلفل او تقدم مع الصلصة اللذيذة 0 كما كانت هناك وفرة فى اسماك المياه العذبة، وتضمنت المائدة كذلك أنواع الخضراوات المطبوخة، والحبوب والبازلاء والأرز، بينما كان الخيار والخس يؤكلان طازجين 0 وتنوعت ثمار الفاكهة التى لم يكن الفرنج الغربيين الوافدين يعرفونها، حيث كانت ثمار الموز والبرتقال والليمون والبلح والخروب، وثمار شجر الجميز التى اطلقوا عليها تين فرعون، كذلك الخوخ والسفرجل والتين العادى، وكان عصير الفواكه رخيصاً ومتوفراً [204]، أما الملابس فكان ينبغى أن تتوائم مع البيئة الجديدة مرتبطة بمناخها، فشتاء الشام قارس البرودة بشكل لا يقل عن مثيله فى أوربا، لكنه قصير الأمد، أما الصيف فهو حار وطويل ولا تنفع معه إلا الملابس الفضفاضة وكلها أشياء عابها عليهم الفرنج الوافدين وانتقدوهم بسببها رغم كونها من ضروريات الحياة التى لا غنى عنها[205] 0

فى ظل هذه التغيرات الكثيرة فى طرق الحياة والمأكل والملبس والمسكن وغيرها والتى أشرنا إليها كان من الصعب كما يقول فوشيه أن يرجع المرء إلى الغرب طالما وجد فى الشرق مثل هذا النعيم، حيث يقول "إن من ولد غريباً مثل الآن مثل من ولد هنا، ومن ولد أجنبياً صار من اهل البلاد، وأولئك الذين كانوا فقراء فى الغرب، اغناهم الرب فى هذه الأرض، ومن كانت نقودهم قليلة هناك، لديهم هنا نقود لا تحصى، والذين لم يكن لديهم سكن هناك يمتلكون مدينة هنا، بفضل الرب [206] 0

([1]) بردج : المرجع السابق، ص 122–123 0

([2]) كان الرأى العام الصليبى يعارض ارتداء الملابس الشرقية، وهذا واضح من رسالة هنرى دى شمبانى لصلاح الدين إذ بعث يقول له "تعرف يا سيدى أن استخدام ولبس الزى الإسلامى من التنك والعمامة أمر يلحق بنا العار والخزى، ولكننى سوف ارتدى هذه الملابس توطيدا لصداقتنا وتبجيلا لشخصك".انظر : y, E.G.,Les Colonies Franquies des Syrie, Paris, 1883, pp.11-12. وأيضا براور : المرجع السابق، ص 611، ستامبولى، المرج السابق، ص 57 0

([1]) فوشيه الشارترى : المصدر السابق، ص 316 0

هذه التحولات والتطورات أثارت وأغاظت القادمين الجدد الذين كانوا لا يزالون يعيشون فى شظف من العيش، فقد كانت ملابسهم لا تزال من الصوف، وقلما اهتموا بغسلها، حيث لم تتوافر وسائل الغسل والنظافة إلا فى بعض المدن القديمة، بل أن الأثاث فى أكبر القلاع وأضخمها كان خشناً، وكافياً لسد الحاجة، أما البسط فلا تكاد تعرف، وكان الطعام غليظاً مفتقراً إلى التنوع، ولا سيما فى شهور الشتاء الطويلة0 وعلى الجملة لم تكن الحياة فى الغرب إلا حياة التعب والشقاء، وليس للحياة الخاصة إلا نصيب ضئيل[207]0

فى ظل هذا حدثت الفجوة فى العلاقة بين الفريقين، وبدأت المنافسة والصراعات، واختلاق الأزمات، وهذا يجرنا إلى الجزء الأخير فى هذا الموضوع وهو أسباب العداوة بين الحزبين والتى أوجدتها طبيعة العلاقة فيما بينهما 0

خلال التعامل بين الوافدين الجدد من الصليبيين والفرنج المستوطنين برزت ثلة من المشكلات والأزمات التى تسببت فى تعقيد العلاقة بينهما وهو الأمر الذى ترك آثاره على مستقبل الكيان الصليبى بصفة عامة، ويمكن رصد هذه التطورات والعوامل التى أبرزت الأزمة فى الجوانب التالية :

فقد كان شعور الشك المتبادل بين الطرفين فى دوافع ومشاعر كل طرف منهما تجاه الآخر واضحاً، فالبارونات الشرقيين ساورهم الشك فى أن الوافدين الجدد ما قدموا إلا لتحقيق أطماع خفية، أو أنهم رتبوا خططهم على أن يقيموا لأنفسهم إمارات جديدة0 دعَّم وغذى هذا الشعور أن كثير من الإمدادات القادمة من الغرب كان يتألف معظمها من المجرمين وشذاذ الآفاق، كما أن بارونات الشرق لم يكن لديهم أدنى استعداد لقطع علاقاتهم التجارية مع المسلمين، وهى العلاقات التى استفادوا منها كثيراً، ومن هنا لم يكن لديهم أو فى وسعهم أن يسهموا فى الشهوة الجامحة التى اندفع بها فرسان الغرب المتعصبين لمهاجمة المسلمين[208]0

([2]) رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 507 0

([1]) باركر : المرجع السابق، ص 68-69 0

أما القادمين الجدد فكثيراً ما شككوا فى قدرات الفرنج المستوطنين واتهموهم بنقائص عدة مثل الجبن، وقلة الشجاعة ، والتراخى، والكسل والخيانة أحيانا، وكثيراً ما كانوا ينظرون لنصائحهم ونداءاتهم بتوخى الحذر – فيما يفعلون وفيما يقدمون عليه – نظرة شك وارتياب بل اعتبروها فى بعض الأحيان نداءات ساذجة، وأبرز دليل على ذلك ما حدث من الكونت روبرت أرتوا Cont Robert D'Artois شقيق لويس التاسع فى حملته على مصر حينما استخف بنصائح فرسان الداوية والاسبتارية الخبيرين بالمنطقة والعارفين بطرق قتال المسلمين، ولم يسمع إلا لنفسه وبطانته، بل اتهمهم بالجبن والخور لدرجة أزعجت كبير الداوية الذى رد عليه قائلا "لا أنا ولا إخوانى نعرف الخوف، ولن نبقى فى الخلف، بل سنذهب معك، ولكن إعلم جيدا إنه لا نحن ولا أنت سنعود أبدا" (209)، وكان ما كان من هزيمة مروعة ومقتل الكونت دارتو، والكثير من رجاله فى المنصورة(210)0

كذلك كانت الاتهامات المتبادلة بين الطرفين طوال فترة التواجد الصليبى ببلاد الشام متواترة، فقد كان كل طرف حريصاً على تلويث سمعة الطرف الآخر بسيل من الاتهامات كان بعضها صحيحاً أحياناً، والكثير منها لا أساس له من الصحة، وإن

([2]) أشار جرانفيل إلى ان عدد القتلى من الفرسان الذين كانوا مع الكونت دارتو بلغ خمسمائة قتيل0 للتفاصيل، انظر : جرانفيل : مذكرات جرانفيل القديس لويس، حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة وتعليق حسن حبشى، القاهرة، 1968، ص 114–115 ، ستامبولى : المرجع السابق، ص299–300 0

([3]) على العكس من الكونت روبرت أرتوا كان الملك ريتشارد قلب الأسد، حيث أشار المؤرخ المجهول للحملة الثالثة، بأن أحد أسباب النجاح الذى حققه الملك ريتشارد قلب الأسد كان يعود إلى استماعه الجيد وإنصاته لنصائح الفرنجة البلديين فى الكثير من الأحداث، وأثر عنه قوله "إننا اغراب عن هذه البلد، والرأى عندى أن سلامتنا تتمثل فى العمل بما يشير به علينا أهل البلاد، وأن نعمل بما يرونه أجدى عليهم لأنهم أدرى بمصالحهم" بل وصل به الأمر لتشكيل لجنة من حكماء بارونات الشرق لمعرفة كيف يسيرون الأمور، كان ثلاثة أرباع هذه اللجنة من الفرنج البلديين (كانت اللجنة مكونة من عشرين عضوا، منهم خمس من الداوية وخمس من الاسبتارية، وخمس من بلاد سوريا، وخمس من زعماء الفرنسيين). لمزيد من التفاصيل انظر : المؤرخ المجهول للحملة الثالثة، ص 129–130، 211، 212 0

تزايدت اتهامات القادمين الجدد بالذات للفرنج المستوطنين، ومن خلال استعراضنا لمصادر تلك الفترة تبين لنا ما يلى:

كان جاك دى فيترى أسقف عكا أعدى أعداء الفرنج البلديين، سلقهم بألسنة حداد، واتهمهم اتهامات كثيرة متنوعة، فقد وصفهم قائلاً : "البولانيين جيل شرير فاسد، وأبناء أشرار منحطين، ترعوعوا فى ترف ورفاهية، وتنعموا معتادين على الحمامات بدلا من المعارك، وأدمنوا الحياة الصاخبة غير النظيفة [211]، منغمسين فى ارتداء الملابس الناعمة كالنساء، مزينين مثل زوايا المعبد المزخرفة"، واتهمهم كذلك بأنهم كانوا بطيئين كسالى، وجلين جبناء ضد أعداء المسيح، ولا يشك أحد فى مدى احتقار المسلمون لهم، بعكس حال آبائهم الذين كان صوتهم كالرعد، لذلك كان يخشاهم المسلمين[212]0

ويواصل دى فيترى اتهاماته قائلا "لقد كانت تغمرهم السعادة من اجل العيش بسلام مع المسلمين، وأنهم كثيراً ما كانوا يتشاجرون مع بعضهم بعضاً، وتتشب فيما بينهم حرب أهلية، وغالبا ما استدعوا أعداء الإيمان لكى يساعدونهم ضد ذويهم من الصليبيين، ولا يشعرون بالخجل لتضييعهم القوت والأموال التى كان عليهم استخدامها ضد المسلمين"[213]0

([1]) جاك دى فيترى : المصدر السابق، ص 104–105 0

([2]) يزايد فيترى كثيرا فى تمجيد الجيل السابق للصليبيين، وبأن المسلمين كانوا يفرون منهم هلعاً وخوفاً، وأن المسلمين لا يخافون الجيل الجديد من الصليبيين إذ لم يكن بينهم بعض فرسان الغرب أو الفرنسيين" وهذه مغالاة شديدة، ومحاولة للتقليل من قيمة القوة الإسلامية، والحقيقة التى يعرفها الجميع أن السبب فى نجاح الصليبيين الأوائل يعود إلى تفكك المسلمين وتشرذمهم وليس لقوة الصليبيين، كما أن هذا لا ينفى قيام سكان الشام من المسلمين وهم عزل من السلاح بجهاد الصليبيين والدفاع عن أراضيهم 0 انظر، ما فعله مودود، وبلك بن بهرام، واقسنقر البرسقى فى بدايات المقاومة الإسلامية، رغم قلة مواردهم، وضعف جيوشهم. للمزيد انظر : ابن القلانسى، ص 177–178، وابن الأثير : الكامل، ج1، ص 495–496، 501، 502، وانظر أيضا سعيد عاشور : المرجع السابق، ج1، ص 249–250 وما بعدها0

([1]) فينزى : المصدر السابق، ص 105 0

ويشير فيترى إلى أن البولانى تعلموا إخفاء معانيهم فى خطب ماكرة مغطاة بالأوراق لكن دون ثمار، مثل أشجار السرو العقيمة، حتى أن هؤلاء الذين ليس لديهم خبرة يجدون صعوبة فى فهم حيل خطبهم واستيعابها، ولا يستطيعون تجنب الانخداع بهم[214]0 واتهم فيترى البارونات المحليين بأنهم أفسدوا الحجاج الأتقياء القادمين، بل سرقوهم واحتالوا عليهم ونهبوهم وفرضوا عليهم ضرائب باهظة، ولم يكتفوا بذلك بل أطلقوا عليهم لقب "الحمقى"، رغم أنهم هم المجانين والحمقى وأنهم يلومون الذين يدافعون عنهم[215]0

تأكدت بعض اتهامات جاك دو فيترى من خلال بعض المصادر الأخرى مثل المؤرخ المجهول لحملة ريتشارد قلب الأسد، إذ أشار إلى أن الجميع يقصد المستوطنين بالذات، قد طرحوا جانباً رداء الحكمة والوقار، ولم يتورعوا عن المجاهرة بالمعاصى، كما أنه اتهم كونت طرابلس ريموند الثالث صراحة بالاحتيال وخيانة الصليبيين، حينما أشار قائلا "لقد كان يضمر الغدر لشعبه، ويعزم على خيانته حسب اتفاق سابق بينه وبين صلاح الدين" [216]0 ولم يكتف بذلك بل تحامل بشكل واضح

([2]) المصدر السابق، ص 106 0

([3]) اشارت بعض الكتابات إلى تعرض بعض القادمين الجدد غير الحريصين إلى السرقة فى المدن المزدحمة الصاخبة، كما وقع بعضهم ضحية النصب، كما كان هناك أحد البارونات من قطاع الطرق، واسمه ريموند سيد نيفين فى منطقة البترون، كثيراً ما قام بسلب ونهب بعض الحجاج من الوافدين الجدد، انظر : Ernoul, op.cit,pp.320,324 ، ويتفق مع ذلك ما أورده ابن منقذ من أن هناك سيدة وابنها كانا يستدرجان الحجاج ويحتالان عليهم ويسرقان ما معهم من مال ثم يقتلونهم . انظر للمزيد : ابن منقذ : المصدر السابق، ص 139 0وانظرايضا : قاسم عبده قاسم، الحياة الاجتماعية، ص 380 0

([1]) المؤرخ المجهول للحملة الثالثة، ص 25، 26، 33 0

على كل من باليان إبلين، ورينو حاكم صيدا، وأورد أن كل ما قاما به من أعمال للصلح مع صلاح الدين ونجدة الصليبيين كأنها التراب ذرته الرياح [217]

أما الرحالة بورشارد Burkhard من جبل صهيون فيشير إلى انتشار الفساد بين الفرنج المستوطنين قائلا "إن الآباء المسيئين ينجبون أولاداً أسوأ منهم، والذين ينحدرون من سلالتهم أحفاداً أكثر حقارة ورداءة، وهم يعيشون فى الأراضى المقدسة بأقدام ملوثة تدنس المقدسات"[218]0 فى حين أشار القديس برنار دو كليرفو إلى ظاهرة أخرى فشت بين الفرنج المستوطنين وهى انعدام الانضباط عند جماعات الفرسان، حيث أشار إلى ان الفرسان تنسونوا وتخنثوا، ولبسوا ملابس تفاخرية مزركشة بالحرير، وكانت اسلحتهم ذات نقوش وزخارف، ومرصعة بالذهب والأحجار الكريمة،ويتساءل قائلا : "أهذه شارات عسكرية أم حلى نسوانية" ويقول أيضا "لقد ارسل الفرسان شعورهم كالنسوان، وكانت شعورهم على عيونهم بحيث لا يمكنهم الرؤية، كما أنهم حزموا أرجلهم بسراويل طويلة باذخة، واختفت ايديهم فى أكمام يتلاعب بها الهواء[219]0

يضاف إلى ما تقدم من اتهامات ضد الفرنج المستوطنين، ما أشاعه الكتاب والرحالة عن صورة رجال الدين فى المملكة الصليبية، وهى صورة مهتزة توضح حجم الثراء والترف الذى كان عليه رجال الدين فى ملابسهم وما يتزينون به، وكذلك فى انغماسهم فى شئون الحياة العامة، بل وارتكاب الرذائل، وأبرز مثال على ذلك صورة بطريرك بيت المقدس المدعو هرقل Heraclius [220]، التى كان شاهداً عليها رالف

([2]) المصدر السابق، ص 161، وهنا نجد تحامل شديد ونسيان لما قام به باليان بالذات من جهود حتى تم الصلح مع صلاح الدين وأطلق سراح الكثيرين من الأسرى فى بيت المقدس، بعد أن حاصرهم المسلمون وكادوا ان يقضون عليهم. انظر، رنسيمان : ج2، ص 748–750 0

([3]) بورشارد من دير جبل صهيون، المرجع السابق، ص 171–172 0

([4]) ماستتاك : المرجع السابق، ص 237 0

([1]) البطريرك هرقل Heracle, or Heraclius كان رجلا فرنسى الجنسية من مقاطعة أوفرنى Auvergne وكان أول أمره رئيسا لأساقفة قيسارية، ثم انتخب بطريركا بعد تأثيرات وضغوط غير طبيعية، وذلك رغم معارضة وليم الصورى رئيس اساقفة صور، وأعظم مؤرخى عصره، وقد تم

نيجر وهى صورة توضح الترف الذى كان عليه فى ملابسه وزينته وعطوره وكلها صور يبغضها الرب كما أشار نيجر [221]0

نتوقف هنا قليلاً – لمحاولة تفنيد تلك الاتهامات الكثيرة التى جاءت على لسان فيترى وغيره من الكتاب، إذ نلاحظ الكثير من الأمور المهمة والجديرة بالاعتبار والتى جعلت كثيراً من سلوكيات الفرنج المستوطنين تبدو على النحو الذى كان مثار اعتراضهم وتقريعهم، وهذه الملاحظات يمكن إجمالها فيمايلى:

كان لزاما على الفرنج المستوطنين محاولة التأقلم مع البيئة الجديدة بكل مفرداتها، من ناحية المناخ مثلا الذى كان شتاؤه قارس البرد يضارع مثيله فى أوربا، وإن كان قصيرا، وصيفه طويل شديد الحرارة0 مما حملهم على اتخاذ أمور كانت غير مألوفة لهم من قبل فى الملابس والأطعمة وساعات المكوث فى المنازل...إلخ 0 كما أن طباع الشمال القوية لم تعد صالحة فى الشرق، ولابد أن ينتهجوا اساليب الوطنيين0 كذلك كانت أمراض المنطقة غريبة عليهم، وبالتالى لم يصلح أطباؤهم لعلاجها، فكان لابد من اعتمادهم على الطب الوطنى، ومن هنا تحتم عليهم تعلم كيف يفهمون السكان الوطنيين، وتعلم كيفية التعامل معهم فى العمل [222]0

تعيين هرقل بطريركا بعد وفاة البطريرك أمورى بعشرة أيام 0 وقد توفى هرقل عام 1191م طبقا لرواية كتاب الحوليات الانجليزية، وإن كان المؤرخ المكمل لوليام الصورى قد أشار إلى وفاته فى العام التالى لهذا التاريخ ...للمزيد انظر : وليم الصورى : المصدر السابق، ج2، ص 1021،
Ernoul, op.cit, pp. 83-86 , CF, also, Mas Latrie, L.De, Les Patriarches Latins de Jerusalem, in R.O.L.T.I., Paris, 1983, p.18.

(2) يقول رالف نيجر "لقد رأيت بطريرك بيت المقدس عندما جاء إلى الغرب يلتمس المساعدة المادية، إذ جاء فى حلته الأنيقة ولباسه الضخم، يصاحبه موكب يزدان بالذهب والفضة ينم عن الثراء0 وعندما سمعت مطلبه بشأن التماس المساعدة أصابنى الاشمئزاز، وذلك بسبب ثرثرته المستمرة، وصوته المنفر، يضاف إلى ذلك العديد من الروائح العطرية والبهارات التى تفوح من ملابس البعثة المرافقة للبطريرك والمشبعة بهذه الروائح والعطور النفاذة التى تجعلك تدير رأسك من فرط قوة رائحتها"0 للمزيد انظر : براور : المرجع السابق،ص 227 0

(1) رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 510 0

لم تكن حياة الفرنج فى الشرق هينة سهلة، كما لم تكن بنجوة من الأخطار، فقد عاشوا فى بلاد ترعرع فيها التآمر والاغتيال، فقد تربص بهم المسلمين عبر الحدود المتاخمة لهم، فما من أحد يدرى ما قد يتعرض له من طعنة خنجر بيد أحد الفداوية، أو ما يتجرعه من سم بيد أحد خدامه، أو أمراض غريبة عليهم لا يعلمون عنها شيئا 0 ورغم دور الأطباء المحليين فى علاج المصابين لم يكن الواحد فى الشرق يعمر طويلا، وكانت النساء أوفر حظاً لعدم تعرضهن لمخاطر المعارك [(223)]0

انهيار القوة البشرية للمملكة، وقلة أعداد من بقى كان عاملاً خطيراً، حيث انتشر الخوف بين الفرنج فى الشرق، وهذا الخوف جعل الكثيرين منهم رجالاً قساة القلوب يميلون إلى الغدر والخيانة، كما أن القلق شجعهم على الانغماس فى اللهو والمباذل، فارتاع الزائرون لما شهدوه من البذخ وسوء الخلق، وكان البطريرك هرقل أسوأ المرتكبين لهذه الموبقات[(224)]0

هل من الممكن التوفيق بين عقلية من يريدون الحرب (أى القادمين الجدد) وبين الذين استقروا ورغبوا فى التعايش السلمى مع المسلمين (أى الفرنج المستوطنين)0

من الواضح أن الإجابة على هذا السؤال صعبة للغاية، إذ كيف يمكن تأسيس حكومة مسيحية وسط محيط إسلامى معارض يكرهها ويتمنى زوالها، فى الوقت الذى لا يبحث فيه الفرنج عن الصلح أو التوفيق 0 فهل كان لابد من قتل كل المسلمين الذين يقابلونهم، وهل كان الصليبيون فى عجلة من أمرهم للعودة إلى ديارهم، وإن أمكن بغنيمة مقبولة.. كل هذه تساؤلات لم يقم أحد بطرحها على الأقل فى بداية الحرب الصليبية الأولى[(225)]0

---

(2) رنسيمان : المرجع السابق، ج2، ص 520 0

(3) Ernoul,op.cit,pp.83-87;Eracles,op.cit,T.11,p.88,CF,also,Mas-latrie, op. cit,pp.19-20.

([1]) استامبولى : المرجع السابق، ص 61–63 0

بالتالى من نافلة القول الإشارة إلى أن من قبل البقاء فى الأراضى المقدسة كان عليه تعلم فن جديد، هو كيفية العيش فى دولة مسيحية وسط عالم إسلامى (226)0

كانت انطباعات معظم الحجاج الذين مروا على الأراضى المقدسة مروراً سريعاً مثل جاك دو فيترى، انطباعات دائما سريعة وعابرة ومزيفة وغير حقيقية وسرعان ما تتلاشى 0 فرحلة العودة الشاقة التى تزيد على ثلاثة اشهر تجعلهم ينسون ما لاحظوه وعرفوه وجمعوه من أفكار وآراء وشعر وقصص وحكايات وغيرها (227)0

آراء جاك دو فيترى بالذات آراء مغرضة وغير موضوعية ومتحيزة ولم تراع ظروف مجتمع الشرق الفرنجى الذى تكون ، فقد نسى أو تناسى هذا الرجل أن يدرك ما يختفى حول غشاء الترف والبذخ البراق من أحوال سيئة، فبرغم ما يتحلى به الملك من الحرير والذهب، كان يفتقر إلى المال اللازم لدفع نفقات عساكره 0 أما فارس الداوية المعتز بنفسه الذى راح يحصى أكياس المال، فإنه يصح استدعاؤه للمشاركة فى المعارك التى تبلغ من الضراوة والعنف ما لم يشهد له الغرب مثيلا، وقد ينفض عرس كما حدث فى الجليل عام 1183م/579هـ عند سماع قذائف المسلمين تدك القلعة وبها الضيوف على موائدهم، فما غلب على حياة الفرنج بالشرق من المرح والبذخ لم ينفصل قليلا عن الاضطراب والخوف والقلق(228)0

لم يكن جاك دو فيترى متحيزاً ومتعصباً ضد الفرنج البلديين فقط بل كان متعصباً ضد كل ما هو غير فرنسى، فلم يسلم من قدحه وغيظه، حتى ريتشارد قلب الأسد، فقد وصفه بالتهور والعجلة وإلحاق الأذى بجميع الصليبيين، وأن ما حققه من سلام مع المسلمين لم يكن سلاما مشرفا (229)، وإذا ما سحبنا أحكام دو فيترى هذه التى تتميز بالتلون والتعصب وتصطبغ بالمصالح لوجدنا أن قدحه وذمه للفرنج

([2]) سميل : المرجع السابق،ص 110 0

([3]) Holmest, U.T., op.cit, p.23.

([4]) رنسيمان : المرجع السابق، ج 2، ص 521، الحويرى : المرجع السابق، ص 81 0 براور : المرجع السابق، ص 325 0

([1]) دى فيترى : المصدر السابق، ص 168 0

المستوطنين كان مجرد تنفيس ينم عن مشاعر عدائية غير واقعية ضدهم ، وستتضح الصورة أكثر عندما ننتقل إلى الصورة المضادة، أى الاتهامات التى كالها الفرنج المستوطنين للقادمين الجدد0

وقد تمثلت اتهامات المستوطنين للقادمين الجدد فيما يلى :

إذا كان الوافدون الجدد قد لاموا على الفرنج المستوطنين وقوعهم فى الفحش ووصفهم بالتخنث والكسل والتراخى والانغماس فى المباذل كالشرب والزنا وغيرها فإن هذا الاتهام مردود عليه بأنه متى ما توافر لهؤلاء القادمين بعض الاستقرار وبعض الترف كانوا يتحولون إلى الخلاعة والدعة والفحش والتخنث هم الآخرين 0 وهذا ما أشارت إليه المصادر، فالمؤرخ أمبراوز Ambroise أشار إلى تصرفات الفرسان الفرنسيين خلال أحداث الحملة الثالثة، فأشار إلى أنهم ذهبوا إلى صور للعب والرقص، وكانوا يتبذلون فى ملابس مزركشة كالنساء، وانغمسوا فى الشراب حتى الصباح، وكان كل واحد منهم ينتظر دوره للحصول على امرأة، وكانوا عموما يتسمون فى سلوكهم بالوقاحة وألسنتهم لا تكف عن السباب واللعنات فى هذا الخصوص [230]، أى انه حالما توفرت أسباب الراحة كان الخروج والمباذل والبحث عن المومسات من عكا بالذات [231]0 كما أثبتت مصادر أخرى ان السكر والتفحش والخلاعة كانت سمات متأصلة فى نفوس كل من قدم من قواد أو جنود من الغرب الأوربى [232]، فكيف تسنى لأمثال هؤلاء المؤرخين الصاق تهمة الفحش والتخنث والكسل بالفرنج المستوطنين أو بارونات الشرق الذين استقروا فى الأرض العربية، أليس هذا تناقضا صارخاً[233]0

([2]) Ambroise, op.cit,p.183. Richard of Devizes, op.cit.,pp.44-46. CF, also, Holmest, op.cit,p.18.

([3]) أنتونى بردج : المرجع السابق، ص 216 0

1)ichard of Devizes, op.cit,pp.47-48.

2)roise, op.cit.,p.233; Richard of Devizes, op.cit, loc.cit,

وانظر أيضا : حسين عطية : المرجع السابق، ص 28–29 0

كذلك كان غرور واعتداد كثير من القادمين الجدد بأنفسهم بشكل أثار حفيظة الفرنج المستوطنين أمراً موجباً للتنافس والصراع، حيث كانوا يحرصون على التفاخر بأنفسهم رغبة فى ذيوع مجدهم، وهو الأمر الذى جعل المؤرخ المجهول للحملة الثالثة يقرر أنه حينما يذكر أسماء الأمراء فلن يذكر إلا من قام بأعمال جليلة وإذا دعت الضرورة الملحة لذلك حتى لا يمل السامع والقارئ[(234)]0

يضاف إلى ما تقدم الغيرة الشديدة والتى تملكت قلب كثير ممن قدم من الغرب حديثا خاصة وهو يرى بعينه مدى الترف والبذخ الذى عاش فيه كثير من الشرقيين، خاصة آل إبلين سادة بيروت الذين كانوا يمتلكون مناجم الحديد الواقعة قرب المدينة، وأسرة مونتفورت سادة صور الذين حازوا مصانع السكر، حتى أن المؤرخ أمادى قدر قيمة ما ينتج من إقطاع فيليب دو مونتفورت فى تبنين عام 1241م بحوالى ستين ألف دينار إسلامى، كما أن جاى سيد جبيل قد أقرض ليوبولد دوق النمسا خمسين ألف دينار، وأقرض فريدريك الثانى ثلاثين ألف دينار [(235)]0

كما أن الفيض المفاجئ من الحجاج القادمين كثيراً ما خلق مشكلة عويصة فى التموين، فالمحصول أحيانا يكون ضعيفا، والطعام نادراً وغالى الثمن، لدرجة أن الفقراء ماتوا من الجوع، ومن هنا كان الأمر يستلزم سرعة عودة الكثيرين من القادمين إلى أوربا فى أقرب وقت ممكن، وهو أمر كان يحدث أحيانا ولا يحدث فى أحايين أخرى، مما خلق حالة من القلق والاضطراب الدائم فى نفوس الفرنج المستوطنين[(236)]0

وأخيراً فقد ساهم بعض القادمين بعنفهم المفرط، وتجاوزاتهم اللامحدودة ضد المسلمين فى إرهاق السكان، خاصة وأنهم لم يفرقوا فى عنفهم بين المسلمين

([3]) المؤرخ المجهول، الحرب الثالثة، ص 97 0

4)Amadi, Chronquie d’amadi et de Strambaldi,pupliees par, Mas Latrie, Paris, 1891, vol I, p.186, CF.also, La Mont,op.cit, pp.171-174.

([1]) استامبولى : المرجع السابق، ص 64 0

والمسيحيين الشرقيين، وأبرز دليل على ذلك ما فعلته الجماعات البافارية والتى كانت غالبا ما تحصل على الغنائم بأقصى سرعة [237]0

كل الاتهامات السابقة، ومحاولات كل طرف إلحاق الأذى وتشويه سمعة الطرف الآخر، كانت سبباً رئيسيا فى زيادة الفجوة فى العلاقة بين الطرفين مما أدى إلى تزايد أزمة العلاقة بينهما0

والجدير بالذكر أن صعوبة اندماج القادمين الجدد فى المجتمع الفرنجى القائم من المستوطنين كانت سبباً مهماً جدا فى زيادة الأزمة بين الفريقين، فقد رفض القادمون الجدد الثقافة الغربية عليهم واعتبروها أمراً فاسداً مشيناً، بعكس البلديين الذين حدثت لهم عملية تمشرق أو كما يسميها البعض استشراق Levantization, or Orientalization وهو مصطلح يعنى تبنى المجتمع الصليبى للتقاليد والقيم الشرقية0 وكانت نظرة القادمين الجدد الرافضة لهذا التمشرق معتمدة من وجهة نظرهم على صحة ديانتهم المسيحية وعلى المذهب الكاثوليكى وعلى الإسلام، وأن جنسهم هو الأرقى بين أجناس البشر، ورغم التقدم الحضارى عند المسلمين، إلا انهم اعتقدوا أن التمشرق يعنى التخنث المرذول المحتقر، ويعنى كذلك الترف المذموم، وعدم الكرامة، والاعتقاد فى خيالات وتأملات وأفكار سخيفة، وأن التمشرق إجمالاً يتعارض مع الحقائق التى أوحت بها الأناجيل المقدسة، وأبرز مثال للكتب التى عارضت التمشرق مجموعة الخطب اللاذعة التى ألفها جاك دو فيترى أسقف عكا فى القرن الثالث عشر [238]0

وقد عبر المؤرخ ابن منقذ عن مسألة رفض الفرنجة والقادمين الجدد الاندماج فى مجتمع الشرق اللاتينى بقوله "إن الفرنجة جنس ملعون لم يندمجوا إلا مع

([2]) المرجع السابق، ص 64–65 0

([1]) جاك دو فيترى : المصدر السابق، ص 101–107، وانظر أيضا : براور : المرجع السابق، ص 611 0

جنسهم"[239]، ومن هنا كانت الصدمة شديدة للقادمين الجدد وهم يرون الفرنج المستوطنين وقد اقاموا علاقات حسنة مع المسلمين استفادوا منها، وتبنوا بعض أساليب المسلمين لدرجة يصعب معها التمييز بينهم وبين المسلمين، وهى الأمور التى اثارت حفيظة القادمين الجدد عليهم[240]0

لكن رغم ذلك فإن المدقق لأحوال الفرنج البلديين يجد ان هذا التوافق وهذا التمشرق كانت مسألة ظاهرية سطحية فقط، وأن المجتمع الصليبى بشكل عام قد اعتاد عدم الاندماج الثقافى والاجتماعى فى المجتمع الإسلامى، أى أن عدم التوافق النفسى مع البيئة الجديدة ظل قدرا مشتركا بين الجميع طوال فترة التواجد الصليبى فى بلاد الشام[241]0

علاوة على كل ما سبق فقد كانت الخلافات والعداوات والأحقاد الشخصية بين أفراد كل فريق من الفريقين عاملاً من أهم عوامل العداوة والفرقة والانقسام بينهما، والحقيقة أنها كانت خلافات وعداوات أشد وأقوى من الخلافات السياسية، وهذه الخلافات بدت ظاهرة للعيان فى حالة الكراهية الشديدة التى ملأت قلب البارونات الشرقيين تجاه الفرسان المفلسين القادمين من الغرب الذين خفق لهم قلب الوريثات فى الممتلكات الصليبية، وتزوجن منهم بعد ذلك مثل رينو دو شاتيون الذى تزوج من ستيفانى دى ميلى Stephanie de Miles أرملة مايلز بلانسى Miles de Plancy، والتى اتهمت ريموند كونت طرابلس باغتيال زوجها، وكذلك جى لوزينان الذى تزوج من سيبيل أخت بلدوين الثانى بعد أن فضلته على بلدوين ابلين سيد الرملة

---

(2) اسامة بن منقذ : المصدر السابق، ص 118 ،121 ورغم ذلك كان لأسامة صداقات مع بعض فرسان الفرنج الذين جمعته وإياهم هوايتى الصيد والفروسية0

(3) كان الفرنج عامة متعصبين تعصبا اهوج غير عقلانى، وبالتالى فلم يتبنوا طرق المسلمين فى الفنون والبناء وغيرها، وإن كان التأثير الشرقى قد ظهر فى بعض المجالات الخفيفة مثل آداب الطعام والشراب المرتبطة بالقناعة وعدم الإسراف..إلخ0 انظر براور : الاستيطان الصليبى، ص 614، بردج : المرجع السابق،ص 140 0 Holmest , op.cit,p.13.

(4) سميل: المرجع السابق، ص 990 0

الذى كان يعيش قصة حب رومانسية فاق منها على هول الصدمة التى زعزعت كيانه وجعلته اشد الحاقدين على جى لوزنيان [242]0 كذلك حالة الكراهية الخاصة جدا التى جمعت بين ريموند كونت طرابلس ومقدم الداوية جيرارد دو ريدفورت والسبب كما عرفنا من قبل هو رفض ريموند تزويجه من وارثة إقطاع البترون بعد أن وعده بذلك من قبل، وزوجها لأحد أثرياء بيزا واسمه بليفانو الذى بادر دون اكتراث إلى أن يحمل الفتاة فى كفة الميزان، ثم بذل للكونت ريموند ما يضارع وزنها ذهبا، وبعد هذه الإهانة التى لم يغفرها ريدفور لريموند صار من ألد خصومه وعدوه الأول [243]0

والحقيقة أن روح العداء والتحدى التى اندلعت بين الحزبين كانت جذورها قديمة قدم بداية الحملات الصليبية ذاتها، ويكفى للتدليل على ذلك من شعور فقراء الفرنج بالضغينة تجاه من لديهم طعام من أغنياء الفرنج فى معرة النعمان [244] خلال حصار أنطاكية فى الحملة الصليبية الأولى، بعدما أصاب الأولين الجوع الذى جعلهم ينبشون الأرض بحثا عن الجذور أو أية حبوب، وعاشوا على أعشاب الحقول لكسر شوكة الجوع، ولما لم يستجب لهم الذين كدسوا الطعام بسبب جعشهم، ولوا الأدبار متخلين عن الحصار وقاموا بأعمال سلب ونهب [245]0

هكذا ظهرت الأزمة فى العلاقة بين الحزبين لكل الأسباب التى ذكرنا، تلك الأزمة التى أطلت برأسها فى مواقف كثيرة، وسببت الكثير من الكوارث التى حلت بالمملكة الصليبية وتوابعها فى بلاد الشام وهى كلها تقريبا يجمعها وعاء واحد قوامه

---

(1) انفرد ارنول بقصة حب بلدوين إبلين دون غيره من المصادر . انظر :
Ernoul,op.cit,p.33.

(2) ذكر ذيل وليم الصورى أن جيراردو ريدفور بعد أن علم بخديعة ريموند له استشاط غاضبا وقال : "إن الكونت باعها إلى فلاح جلف وغد"، ...انظر ذيل وليم الصورى، ص 71–72 0 وأيضا :
Ernoul, op.cit,p.114, CF, also, Miller, Essays on the Latin Orient, Cambridge, 1921, pp.521-23.

(3) معرة النعمان مدينة كبيرة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماه ماؤهم الآبار وعندهم الزيتون الكثير والتين، انظر ياقوت الحموى : المصدر السابق، مج5، ص 156 0

(1) ريمونداجيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، الإسكندرية، 1990، ص 90–91، 166 0

الجشع والطمع والرغبة فى التسلط والسيطرة، وسلب ونهب الفرنج المستوطنين لما حازوه وحصلوا عليه من مزايا وما عاشوا فيه من ترف وبذخ كان أغلبه غشاء براق يخفى ورائه مشاكل كثيرة لا حصر لها 0 هذه العلاقة المتوترة خلقت جوا مستمرا من عدم الاستقرار الذى أضعف كثيرا من أوضاع الفرنجة عامة فى بلاد الشام، ولولا حالة التشرذم والضعف التى كان عليها المسلمون لكان بالإمكان القضاء على الصليبين قضاءاً مبرماً، وما كان لهم أن يستمر بقائهم طوال هذه المدة فى بلاد الشرق الإسلامى0

الخاتمـة

فى ختام هذا البحث نريد أن نؤكد على بعض الأمور المهمة التى نجد أنها جديرة بالتسجيل والتوضيح فى إطار أزمة العلاقة بين طرفى المجتمع الصليبى فى المملكة الصليبية وتوابعها ببلاد الشام :

- كان الفرنج المستوطنون او النزلاء الذين استقروا بالشرق قد بلغوا من سعة الأفق والتفكير ما لم يبلغه العساكر القادمين من الغرب الأوربى، الذين كانت تحركهم فكرة واحدة فقط، هى انهم جاءوا لقتال المسلمين من أجل استرداد الأراضى المقدسة التى نشأ بها المسيح، ولذلك اعتبروا من يتسامح او يتساهل مع المسلمين أو يثنيهم عن هدفهم متواطئاً مع المسلمين وخائناً لهم0
- كان الوافدون الجدد حريصين كل الحرص على القيام بمغامرات تتسم بالبسالة، لكنها كانت كذلك مغلفة بالنهم والجشع، والحاجة إلى إحراز نتائج سريعة وصولاً إلى الغنائم0 وكلها أمور ساهمت فى تزايد القلق العام فى البلاد وخاصة لدى الفرنج المستوطنين مما أدى إلى ظهور الحقد والخيانة وذلك نظراً لمحدودية الموارد التى كانت تمنع إرضاء كل مطالب ومدع0
- حاول الفرنج المستوطنين بالتدريج التوافق مع ظروف الشرق، كما حاولوا أن يعيشوا مع جيرانهم المسلمين فى ظل شروط ودية 0 وبمرور الوقت بدأت الفروق بين الطرفين تقل وترسخت طرق ثابتة للحياة بينهما، ولم يعكر صفو هذه العلاقة سوى حماسة وتعصب القادمين الذين كان السؤال الأول لكل واحد منهم "أين أجد مسلما أقتله"، ولذا كثيراً ما كان قتل الكثير من القادمين فى هذه الغارات نوعاً من التعزية البسيطة للفرنج المستوطنين المعذبين الذين عاشوا القلق والاضطراب فى حياتهم كلما تجدد الصراع بينهم وبين المسلمين بفعل هؤلاء الوافدين0
- رغم كل هذا لم يحاول الفرنج المستوطنين أن يثنوا القادمين الجدد من الغرب عن أهدافهم، وذلك لحاجتهم الشديدة إليهم، فالإمدادات كانت عاملاً مهما للفرنج البلديين يدعم استمرار وجودهم وبقاؤهم فى بلاد المسلمين، بل فعلوا كل ما وسعهم لتحسين

العلاقة مع الوافدين الجدد حتى يتمكنوا من الاستفادة منهم أكبر استفادة ممكنة 0 وكانت اهم محاولات تحسين العلاقة مع الوافدين تتضمن عدم قطع الصلة بالوطن الأم عن طريق الاستمرار بالساحل، كذلك تزويج وريثات المملكة لرجال قادمين من الغرب الأوربى، والحفاظ على الانتماء لوطنهم الأم من خلال إرسال رفات القديسين إلى الكنائس الأوربية، وإلى جانب ذلك ايضا سمح الفرنج المستوطنون بأن يتولى الوصاية على الملوك الصغار او المرضى بعض الأوصياء من القادمين الجدد؛ ليس هذا فحسب ولكن شملت محاولات التقارب مع القادمين ايضا، تقديم التسهيلات إلى المهاجرين القادمين من الطبقات الدنيا وصلت إلى حد إعفائهم من امور كثيرة مكنتهم من البقاء والاستقرار، وكذلك محاولة تدريب بعض القادمين على أداء المهام الإدارية التى كانوا يفتقدون الكفاءة فيها، فلم يكن يهمهم سوى مصالحهم الشخصية فقط، وأخيراً كانت محاولة التعلق بأهداب التراث الدينى المشترك بين الفريقين كوسيلة اتبعها الفرنج البلديين لتحقيق التقارب المنشود مع ذويهم من الوافدين الأوروبيين

- كانت هناك أيضا بعض المحاولات من جانب القادمين لتحقيق الانسجام والتفاهم والتوافق مع الفرنج المستوطنين، لكنها لم تكن كثيرة، مثل قدوم بعض الشخصيات التى امتازت بالحكمة والسياسة وحسن التصرف وكانت موضع تقدير الطرفين كما وضح ذلك فى شخصية كل من ريتشارد كرنوال، والقديس لويس 0 كذلك نجاح بعض المصلحين الدينيين فى تحسين أطر العلاقة بين الطرفين مثل سوجر، والقديس فرنسيس الأسيسى، كذلك كان هناك بعض القادمين الذين امتازوا بالكرم والنخوة والشجاعة والرغبة فى العطاء مثل ولكين دو فرير وروبرت ترسيبو من رجال الحملة الصليبية الثالثة وغيرهم0

- لكن هناك أمراً استوقفنا كثيرا يعتبر من أهم النتائج التى توصلنا إليها، وهو أن المساعدات والهدايا والمكوس والضرائب والأوقاف بالغرب، كانت من الأمور التى أدت إلى حفظ توازن مالية الشرق الفرنجى، بل كانت مسئولة إلى حد كبير عن حالة الترف والثراء التى لامها القادمون الجدد على رجال الشرق وباروناته، **وبالتالى فالدهشة التى اصابتهم شارك فى صنعها مواطنوهم فى الغرب 0**

- والجدير بالذكر أنه خلال القرن الثالث عشر الميلادى/ السابع الهجرى انقطع ورود القادمين الجدد إلى حد بعيد، لأن الأوضاع صارت غير مستقرة فى الغرب، كما ازداد تنافس الدويلات الفرنجية فى اليونان، ومن هنا كان التعويض المناسب للمملكة الصليبية وسكانها من الفرنج البلديين يتمثل فيما يمكن تسميتهم بالصليبيين الموسميين، الذين كانوا يضعون قوتهم القتالية تحت تصرف الدولة الصليبية لفترة من الزمن0 والحقيقة أنهم مثلوا قوة كبيرة إلى جانب طوائف الفرسان دعمت جيش المملكة وقوته0 كما أن وجود الجمهوريات الإيطالية التجارية كان من العوامل التى اطالت عمر المملكة رغم الانقسامات السائدة بين عناصرها، ولولا هذه المدن لكانت سيرة الشرق الفرنجى اكثر ايجازا وأشد عبوسا0
- فيما يرتبط بما سبق، صارت الدعوة للقيام بحملة إلى الشرق مسألة شاقة وإن تهيأت الفرص لتحقيق كسب روحى بالقيام بحملات أخرى أقل مشقة ونقصد بذلك الرحلات التبشيرية التى اعتقد اصحابها أن للكلمة تأثيراً اقوى من السيف، لكنه فى الحقيقة كان تبريراً للكسل والخمول وتأثير النساء على الرجال ببقائهم فى أوطانهم، فماتت الفكرة الصليبية وصارت نسيا منسيا، وصار على صليبى الشرق الاعتماد على أنفسهم للدفاع عن وجودهم، وعدم انتظار المعونة من الغرب غير المبالى بمصيرهم، لكنهم بدلا من التوحد والتكاتف غرقوا فى صراعات عنيفة كانت إيذانا واضحاً بقرب زوال المملكة0
- فى النهاية يمكن القول أنه زيادة على ما سبق كان استمرار السلوكيات السيئة من جانب بعض من القادمين الجدد أواخر عهد المملكة من العوامل التى عجلت بزوالها نهائيا، كما ان كل ما لاموه من طيش وسفه وفساد وغيرها من الأمور – على الفرنج البلديين، وقعوا فيه بصورة أكثر وقاحة طالما توافرت لهم أسباب الترف والراحة، ومن ثم صارت مزاعمهم ودعاويهم ضد البلديين مزاعم زائفة لا قيمة لها0

الملاحـق

وقع اختيارنا على اثنين من الملاحق من كتاب المؤرخ إرنول، الملحق الأول يوضح طبيعة العلاقة بين أحد القادمين الجدد الذين لم يقدموا أى دعم للمملكة ولم يهتموا سوى بمصلحتهم فقط وهو ثيرى كونت الفلاندر، ورد فعل أحد البارونات الشجعان على تردده وعدم مساعدته للفرنج البلديين، وهو بلدوين إبلين سيد الرملة وإبلين 0

أما الملحق الثانى فيجسد دور العداوات الشخصية والأحقاد التى تسببت فى كثير من الكوارث للمملكة الصليبية وأدت إلى سقوطها فيما بعد، من خلال الصراع بين ريموند كونت طرابلس، وجيرار دى ريدفورت مقدم الداوية، والذين جمعتهما الكراهية المطلقة خاصة من جانب مقدم الداوية وكانت أحد اسباب هزيمة حطين 0

الملحق الأول[246]

Dont [3] vint uns des barons de la tiere avant, qui avoit à non Bauduins de Belin, qui departis estoit de se femme qu'il avoit, pour çou qu'il beoit [4] à avoir celle damoisiele à femme. Et dist au conte de Flandres : « Sire quens, estes vous venus en ces païs pour » mariage faire? Nous cuidiens que vous fussiés venus » pour le tiere aidier à consillier et pour acroistre et » pour aler sour Sarrasins, et vous parlés de mariage ! » Li rois n'est ore mie consilliés de mariage faire. Mais » se vous voliés venir en ost [5] aveuc le roi et aveuc » nous, sour Sarrasins, et Diex donnoit que nous » conquesissons sour Sarrasins, et nous reparissons » sain et sauf, et là vos parliés [6] le roi [7] de mariage » faire, li rois en seroit bien tost [8] consilliés. »

---

(1) Ernoul, op.cit,p.33.

الترجمـة العربيـة

كان بلدوين إبلين أحد بارونات الشرق قد انفصل عن زوجته، ورغب فى الزواج من أخرى، لكنه بمجرد علمه بقدوم كونت الفلاندر [247]، وعرف ما جاء لأجله قال له : "لقد ظنناك قد أتيت إلى هذه البلاد لتسدى إلينا نصائحك، ولتقدم لنا الدعم والمساندة فى قتالنا ضد المسلمين، فوجدناك لا تتحدث إلا عن الزواج [248]0

وأعلمك أن الملك – فى ظل تلك الأحوال – غير مستعد للحديث فى أمور الزواج ولا حتى مجرد إسداء النصح فى هذه الأمور الآن 0 إلا أنك إذا رغبت فى الانضمام إلينا وإلى الملك فى حربنا المرتقبة ضد المسلمين حتى ينصرنا الله عليهم ونعود سالمين، فى تلك الحالة فقط يمكنك فتح باب الحديث عن الزواج مع الملك، وسيتقبل ذلك بصدر رحب، وسيكون خير من يقدم لك النصيحة [249]0

([1]) المقصود بكونت الفلاندرز هنا هو ثييرى، وكان قدومه هذه المرة فى عام 1177م/573هـ، وهى فترة كانت مشحونة بالقلق والتوتر خاصة مع تنامى قوة صلاح الدين، وتهديده للوجود الصليبى كله فى بلاد الشام0

([2]) المقصود هنا قيام ثييرى بتزويج ابنتى عمه الأميرتين سيبيلا وإيزابيلا من ولدى روبرت بيثون، أقرب أتباعه إليه وأكثرهم حظوة عنده. انظر ما سبق، ص 25، ح 2 0

([3]) استخدام بلدوين إبلين أسلوب التهكم والسخرية هنا ضد ثييرى كونت فلاندر جعله يستشيط غضباً ويتجهز للرحيل من البلاد بأقصى سرعة لأنه لم يتحمل هذه الطريقة فى المعاملة من أحد بارونات الشرق، انظر ما سبق، ص 25 0

الملحق الثانى[250]

Or vous ai dit de Naples comment elle siet, si vous dirai d'un clerc de Flandres qui ot à non Girras de Ridefort [2] qui en le tiere estoit. Pour che veul dire de lui que ce fu .I. de ciaus par coi la tiere fu perdue. Il estoit marissaus de Jherusalem. Il avint qu'en le tiere le conte de Triple avoit une dame de castiel à marier [3], et li castiaus dont elle estoit dame avoit non li Boteron [4]. Il vint au conte de Triple, si li proia qu'il li donnast celle dame à feme; li quens de Triple dist qu'il ne li donroit mie [5]. Quant Girras de Ridefort vit que li quens li ot escondite le dame, si fu si dolans, et si courecciés qu'il se rendi al Temple; n'onques puis n'ama le conte de Triple, ains li pourcaça mal tant com il pot. Et celle haine fu commencemens [6] de la tiere pierdre, si com vous orés dire ci après [7]. Girras de Ridefort n'ot gaires esté al Temple que li maistres fu mors; si fist on maistre de lui.

---

(1) Ernoul, op.cit,p.114.

الترجمة العربيـة

سبق أن حدثتكم عن نابلس، وكيف كانت أحوالها [251]، وسأحدثكم الآن عن أحد رجال الإكليروس من فلاندر ويدعى جيرار دو ريدفور 0 أو أن أقول أنه كان أحد الأشخاص الذين تسببوا فى سقوط مملكة بيت المقدس0

كان جيرار عضواً فى إحدى الهيئات الدينية فى بيت المقدس [252]، أتى إلى بيت المقدس حينما كانت كونت طرابلس ينوى تزويجه من إحدى وريثات القلاع [253]، وهى قلعة البترون حيث أتى إلى الأخير وتوسل إليه أن يزوجه من هذه السيدة، إلا ان كونت طرابلس رفض مطلبه[254]0

وعندما رأى جيرار دو ريدفور أنه لم يتمكن من الزواج منها انتابه غضب بالغ، وتوجه إلى كنيسة الضريح المقدس وتوسل إلى الله أن ينتقم من كونت طرابلس لفعلته تلك0 وكانت تلك الكراهية بداية لضياع الأراضى المقدسة0

([1]) المقصود بأحوال نابلس هنا، الاجتماع الذى تم بين بارونات المملكة عشية تعيين جى لوزنيان ملكاً على بيت المقدسن وكيف قابل أولئك البارونات هذا الأمر وهم الكارهين لجى والرافضين له باعتباره أحد القادمين الجدد الأغبياء من وجهة نظرهم . فكيف يكون ملكاً عليهم، وعلى قائدهم ريموند كونت طرابلس0

([2]) المقصود هنا هيئة فرسان الداوية التى صار ريدفورد بعد ذلك مقدما وسيداً لها0

([3]) هى إبنة ووريثة وليام دوريل أمير البترون، والذى كان فصلاً تابعاً لكونت طرابلس، انظر ما سبق، ص 33 ، ح 1 .

([4]) اعتبر جيرار دو ريدفور أن كونت طرابلس غرر به وتخلى عن وعده له خاصة وقد زوجها من أحد أثرياء البيازنة المدعو بليفان، وهو الأمر الذى أثار ريدفور الذى نظر إلى بليفان باعتباره مجرد فلاح جلف، انظر ما سبق، ص 71 ، ح2 0

بيان بالمختصرات الوارد ذكرها

فى حواشى البحث

A.H.R.	**American Historical Review**
Byz.	**Byzantion**
J.R.A.S.	**Journal of the Royal Asiatic Society**
M.A.	**Le Moyen age**
Outre	**Outremer**
R.H.C.-Doc.Arm	**Recueil des Historiens des Croisades, Documents Armeniens**
R.H.C.-H.Occ.	**Recueil des Historiens des Croisades, Historiens occidentaux**
R.O.L.	**Revue De L'Orient Latin**
Spec.	**Speculum**
V.R.	**Variorum Reprints**

المصادر والمراجـع

أولا : المصادر الأجنبيـة:

1- **Albert d'Aix, :** Historia Hierosolymitana, ed. R.H.C.-H.Occ. Tome IV, Paris, 1879.

2- **Amadi :** Chronque d'amadi et de strambaldi, pupliees par, M. De mas latrie, 2vols., Paris, 1891.

3- **Ambroise :** The Crusade of Richard lion-heart, trans from the old french by M.J. Hubert, New York, 1941.

4- **Anna Comnenia :** The Alexiad of Anna Comnena, Trans by, E.R.A. Sewter, Great Britain, 1969.

وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان "ألكسياد" للمؤرخة اليونانية الأميرة أنا كومنينا، ترجمة د/ حسن حبشى،المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة، 2004م

5- **Burchard of Mountsion :** A description fo the holyland, AD 1280 Trans from the original latin by Aubrey stewart, London, 1896.

وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان"وصف الأرض المقدسة" ترجمة د/ سعيد البيشاوى، عمان، دار الشروق، ط 1، 1995م0

6- **Cafaro de Caschifellone :** De liberation Civitatum Orientis, ed. R.H.C.H.Occ. Tome v, Paris, 1895.

7- **Cinamus, J.**, Deeds of John and Manuel Comnenus, Trans by Ch. Brand, New York, 1976.

8- **Eracles :** L'Estoire d'Eracles Empereur et la Conquest de la terre d'Outremer, ed., R.H.C.-H.Occ, Tome, II, Paris, 1859.

9- **Ernoul :** La Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier ed, M.L.De Mas Latrie, Paris, 1871.

10- **Fulcher of Chartres :** A history of the expedition to Jerusalem, ed, by Harold. S., Fink, Knoxcille, 1968.

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان "الوجود الصليبى فى الشرق العربى، الاستيطان الصليبى فى فلسطين، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس 1095–1127م تأليف : فوشيه الشارترى ، ترجمة د/ قاسم عبده قاسم، ذات السلاسل، الكويت، ط 1، 1993م0

11- **Itinerarium peregrinorum et Gesta Regis Ricardi**

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان "الحرب الصليبية الثالثة، صلاح الدين وريتشارد، ترجمة د/ حسن حبشى، جزءان، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 2000

12- **Jacque de vitry :** The history of Jerusalem, Trans from original latin by, Aubury stewart, London, 1896.

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان "تاريخ بيت المقدس" تأليف يعقوب الفيترى ترجمة، د/ سعيد البيشاوى، دار الشروق، عمان، الأردن، 1998م0

13- **John of Wurzburg:** Description of the Holy land A.D. 1160-1170, Trans by C.W. Wilson, London, 1890.

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان "وصف الأراضى المقدسة فى فلسطين" تأليف يوحنا فورزبورج، ترجمةد/سعيد البيشاوى، عمان، الأردن، 1997م

Joinville, Jean de : The life of saiut louis, in Chronicles of the Crusades, London, 1963.

وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب بعنوان : مذكرات جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة وتعليق د/ حسن حبشى، القاهرة، 1968 0

14- **La Continuation de Guillaum de Tryre (1184-1197):** Par Margaret Ruth Morgan, Paris, 1952.

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان "ذيل وليام الصورى" ترجمة د/ حسن حبشى، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 2002م0

15- **Les Gestes des Chyprois,** ed.R.H.C.-Doc.Arm,TomeII, Paris, 1906.

16- **Richard of Devizes :** Crusade of Richard Cœur de Lion, in Chronicles of the Crusades, London, 1898.

17- **Tafel & Thomas :** Urkunden Zur alteren Handles und staatsgeschichte der republik venedig, 3 Vols, Vienna, 1856-57.

18- **Villehardouin, G.** La Conquiete de Constantinople, ed Faral, Vol.2, (1203-1207), Paris, 1939.

واعتمدنا على الترجمة العربية لهاذ الكتاب بعنوان "مذكرات فيلهاردوان–فتح القسطنطينية)، ترجمة وتعليق د/ حسن حبشى، جدة، 1982م0

19- **William of Tyre :** Historia rerum in partibus transmarini gestarum a tempare successorum mahumeth usuque ad annum doimini MCL XXXIV, ed. R.H.C. H.Occ. Tome. I., Paris, 1844.

واعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت عنوان "تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، نقله إلى العربية د/ سهيل زكار، دمشق، ط 1، 1990م0

ثانيا : المصادر العربيـة :

1– ابن الأثير (ت630هـ/1233م) : أبى الحسن على بن أبى الكرم الشيبانى :

+التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة، 1963

+الكامل فى التاريخ، 12 جزء، بيروت، 1982م0

2- أسامة بن منقذ (ت 584هـ/1185م) مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الشيزرى : كتاب الاعتبار، حرره، فيليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، د 0ت0
3- ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة، القاهرة، 1999م0
4- ابن شداد (ت 623هـ/1232م) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية، دار الفرجانى للتراث، القاهرة، 1988م
5- ابن العبرى (ت 685هـ/1262م) : إغرغريوس أبو الفرج أهرون المالطى : تاريخ الزمان، نقله إلى العربية الأب إسحق أرملة، بيروت، 1986م0
6- ابن القلانسى (ت 555هـ/1160م) أبو يعلى حمزة بن أسد التميمى : ذيل تاريخ دمشق، نشره أ.امدورز، بيروت، 1908م0
7- ابن واصل (ت 697هـ/1298م) جمال الدين محمد بن سالم : مفرج الكروب فى أخبار بنى ايوب، ج 1-3، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، 1953-1960، ح4-5 تحقيق د/ حسنين ربيع، القاهرة، 1972-1973م0
8- أبو شامة(ت665هـ/1267م)شهاب الدين أبى محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل:
- الروضتين فى أخبار الدولتين، جزءان فى مجلد واحد، بيروت، د 0ت0
- الذيل على الروضتين، راجعه ووقف على أصله عزت العطار الحسينى، ط 2، بيروت، 1974م
9- الأصفهانى (ت 597هـ/1201م) أبو عبد الله محمد بن صفى الدين القرشى المعروف بالعماد الكاتب: الفتح القسى فى الفتح القدسى، تقديم وشرح وتحقيق، محمد محمود صبح، القاهرة، 1965م0
10- المقريزى (ت 845هـ/1442م) تقى الدين أبو العباسى أحمد بن على : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه، د/ محمد مصطفى زيادة، القاهرة، 1934-1957م0
11- ياقوت الحموى (ت626هـ/1238م) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى : معجم البلدان، خمسة أجزاء، بيروت، 1979م0

ثالثا : المراجع الأجنبية :

1- **Archer, T.H. and Kingsford, C.L. :**The Crusades, the story of the latin kingdom of Jerusalem, London, 1919.
2- **Chatelian, E.** Lexique Latin – Francais, Paris, S.D.
3- **Constable, G. :** The Crusading project of, 1150, in V.R., 1979.

4- **De Collenberg, W.H.R. :** Les premiers Ibline, ed., Le Moyen age, T.71 Paris, 1965.
5- **Ducange :** Les familles d'Outremer, Pupliee par Rey, Paris, 1869.
6- **Duggan, A. :** The story of the Crusades (1079-1291) London, 1963.
7- **Fink, H.S. :** The foundation of latin states, 1099-1118 in setton, Vol.1, Phildelphia, 1958, pp.368-409.
8- **Gibb, H. :** The decline and fall of Jerusalem, 1174-1189, in setton, Vol.1, Phildelphia, 1958, pp. 590-621.
9- **Grousset,R.:**Histoire des Croisades du royaume france de Jerusalem,3 Vols.Paris,1948
- L'Empire du levant, Paris, 1946.
10- **Holmest, U.T. :** Life amonge the Europeans in palestine and Syria in Twelfth and Thirteenth Centuries, in Setton, Vol. IV, U.S.A. 1977.
11- **Johns, C.N. :** The attempt to colonize palestine and syria in the Twelfth and Thirteenth Centuries, in J.R.A.S., Vol., 21, 1964.
12- **Lamb, H. :** The Crusades, New york, 1930.
13- **La Monte, J. L. :** Feudal Monarchy in the latin kingdom of Jerusalem (1100-1291) New York, 1970.
- John d'Ibelin, The old Lord of Bierot, 1177-1236, in Byzantion, T. 12, 1937.
- The Lords of Caesarea in the period of the Crusades, in spec, Vol.XXII, 1947, pp.145-161.
14- **Longnon, J. :** Les Francais d'Outremer, Essai sur L'expansion francaise dans le Bassin de la Medierranee, Paris, 1929.
14- **Mas Latrie, L.De :** Les patriarches latins de Jerusalem, in R.O.L., T.1, Paris, 1893.
15- **Miller, W. :** Essays on the latin Orient, Cambridge, 1921.
16- **Pernoud, R. :** The crusades, Trans by, Ennid McLead, London, 1962.
17- **Pringle, D. :** The Castel and Lordship of Mirable, V.R., 1979.
18- **Prawer, J.**: The settlement of the Latins in Jerusalem, in spec, Vol. XXVII, 1952, pp.490-503.
19- **Rey, E.G. :** Les Colonies Franquies de Syrie, Paris, 1883.
20- **Rohricht (ed):**Regesta Regni Heirosolymitana, 2vols, Insbruck,1893-1904.
21- **Smail, R.C. :** The predicment of Guy Luzignan, in Outremer, 1982.
22- **Van Cleve, T.:** The fifeth Crusade, in setton, Vol.11. Phildelphia, 1962.

رابعا : المراجع العربية والمعربـة :

1 - **باركر– أ :** الحروب الصليبية، نقله إلى العربية د/ السيد الباز العرينى، بيروت، لبنان، 1967م0

2 - **بالار0م**:الحملات الصليبية والشرق اللاتينى من القرن الحادى عشرإلى القرن الرابع عشر،ترجمة بشير السباعى، عين للدراسات،القاهرة، ط 1، 2003م0

3 - **براور0ى** : الاستيطان الصليبى فى فلسطين، مملكة بيت المقدس، ترجمة د/ عبدالحافظ البنا، عين للدراسات، القاهرة، ط 1، 2001م0

4 - **بردج0أ** : تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية أحمد غسان سبانو، نبيل الجيرودى، راجعه وقدم له، سهيل ذكار، دار قتيبة، دمشق، 1985م0

5 - **حسين عطية (الدكتور)** : دراسات فى تاريخ الحروب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002م0

6 - **رنسيمان0س** : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العرينى، ثلاثة أجزاء، بيروت، ط2، 1982م0

7 - **زينب عبد القوى (الدكتور)**: الإنجليز والحروب الصليبية فى الفترة من 1189– 1291م، القاهرة، ط1، 1996م0

8 - **ستامبولى0ر**: مفاتيح اورشليم القدس، حملتان صليبيتان على مصر(1200– 1250م)ترجمةعايدة الباجورى، مراجعة وتقديم د/إسحاق عبيد، القاهرة، 2004م

9 - **سعيدعاشور(الدكتور)**:الحركةالصليبية، صفحة مشرقةفى تاريخ الجهاد الإسلامى فى العصور الوسطى، جزءان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 4، 1986م0

10 - **سميل–ر0سى** : فن الحرب عند الصليبيين فى القرن الثانى عشر (1097– 1193م)، ترجمة محمد وليد الجلاد، دمشق، 1985م0

11 -**سهيل ذكار (الدكتور)** : حطين، مسيرة التحرير، من دمشق إلى القدس، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1984م0

12 -**السيد الباز العرينى (الدكتور)** : نمو طبقة النبلاء الإقطاعيين بمملكة بيت المقدس فى القرن الثانى عشر الميلادى، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج 20، ج2، ديسمبر 1958م، ص ص 28–66 0

13 -**عبد الحفيظ محمد على (الدكتور)** : مشكلات الوراثة فى مملكة بيت المقدس، وأثرها على تاريخ الحركة الصليبية (1131–1187م)، دار النهضة العربية، القاهرة، ط 1، 1984م0

14 -**عزيز سوريال عطية (الدكتور) :** الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر، القاهرة، ط 2، 1990م0

15–قاسم عبده قاسم (الدكتور) :

– بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى بلاد الشام فى عصر الحروب الصليبية، عالم الفكر، مج20، العدد الثانى، اكتوبر – ديسمبر 1993م0

– صورة المقاتل الصليبى فى المصادر العربية، المجلة التاريخية المصرية، مجلد 27، لسنة 1981م0

16– كلود كاهن : الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1995م0

17– ماستناك 0ت : السلام الصليبى، الجماعة المسيحية والعالم الإسلامى، والنظام السياسى الغربى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003م0

18– ماير 0هـ0أ : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، 1990م0

19– محمد محمود الحويرى (الدكتور) : الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد، دار المعارف، القاهرة، 1979م

20– محمد مرسى الشيخ (الدكتور) : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها 1097/1144م، الإسكندرية 1974م0

21– محمد مؤنس أحمد عوض (الدكتور) : العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط1، 1999–2000م0

22– محمود سعيد عمران (دكتور) : الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دو بريين على مصر ،1218–1221م/615–618م،دارالمعارف،القاهرة، 1985